Replacing fallen stones from his grandfather's (Hussein Youssef Hajo) tomb.

A well: There were 300 wells to provide water in Lubya.

Giv'at Avi and Lavi: the new and the old settlement that replaced Lubya.

Cactus trees in Lubya: still productive.

The meeting in Shafa-Amr of the Committee for Defending the Rights of the Refugees in Israel

Izra Lavi, the officer who led the first attack on Lubya 1948, and his wife.

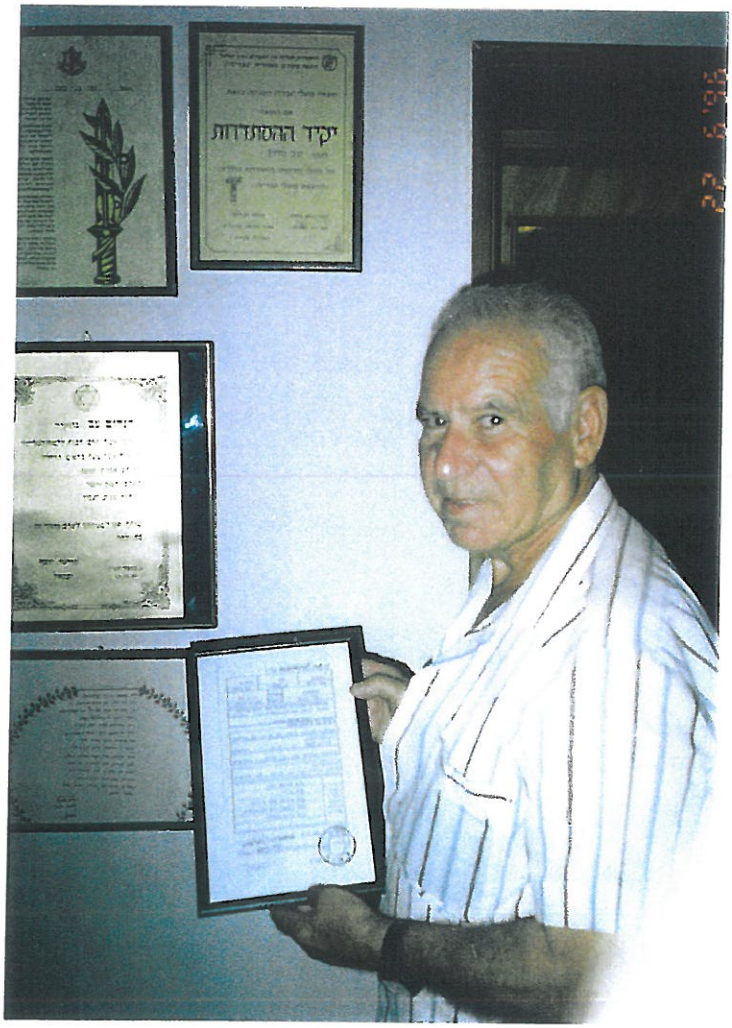

Nahom Abbo, the officer who participated in Lubya's occupation, 1948.

The remains of the historical caravansary, or "khan", of Lubya.

The old and the new road, passing through Lubya's land, between Tiberias & Nazareth.

"لا أسى على وجه البسيطة أشدّ على المرء وأقسى من خسارة الوطن"
(يوريبيديس، ٤٣١ ق٠ م٠)

كانت معيشة اللوبيين تعتمد على الأرض، وقد طوعت اللغة نفسها لتعكس ألوان الطبيعة وأشجارها وثمارها وفصولها الأربعة٠ قال عابد العجاينة[٩٠]: "تعلّمت حب الأرض منذ صغري حين كنت أرافق والدي إلى لوبية٠ مرة رأيت أفعى وأردت قتلها لكنّ والدي منعني من ذلك قائلاً: لا تقتلها، هذي بنت بلدنا! كان والدي يكره الأفاعي لأن أفعى قتلت أخيه، لكنه لم يرد أن يلحق الأذى بهذه الأفعى٠ هكذا أنا نشأت٠"

جميع اللوبيين الذين قابلتهم قالوا إنهم لن يبيعوا أراضيهم أبداً٠ قال أبو محمد كيلاني: "إننا نعيش حياة جيدة والحمد لله٠٠٠ لسنا بحاجة لبيع الأرض٠" وقال أحمد حجّو: "إذا تحدثت مع أي فلسطيني عن بيع أو استبدال أرضه لن يأخذ كلامك محمل الجد٠" لكن الغالبية تحدثوا أيضاً عن بيع أراضي في لوبية للصهاينة وسماسرتهم٠

لا يمكن فهم الثورة الكبرى بين الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩ أو النكبة عام ١٩٤٨ بمعزل عن الصراع حول الأرض، فقد أعتمد قيام إسرائيل على الحيازة على الأرض٠ ومن أقوال مناحيم أوسيشكين مثلاً، وهو زعيم صهيوني مشهور ورئيس سابق للصندوق القومي اليهودي، إنّه "إذا كان [في فلسطين] شعب آخر، فيجب نقله إلى مكان آخر٠ يجب أن تكون هذه الأرض بحوزتنا٠ إن مهمتنا أكبر وأجلّ من احتياجات بضع مئات الآلاف من الفلاحين العرب٠"[٩١]

بدأ بيع الأرض للمؤسسات الاستعمارية الصهيونية منذ أواخر القرن التاسع عشر، وبشكل خاص على يد الملاكين الكبار الذين عاشوا في المدن٠ ورغم ذلك، لم تنجحْ الحركة الصهيونية حتى العام ١٩٤٨ في الحيازة على أراض متواصلة تكفي مساحةً لقيام دولة يهودية عليها٠ فكان التهجير واسع النطاق الذي لحق بالفلسطينيين بين الأعوام ١٩٤٧-

---

[90] عابد العجاينة من مواليد عام ١٩٦٣٠ أجريت المقابلة معه بتاريخ ١٧ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥، في دير حنا، بإسرائيل٠ عابد هو أبن صبحية محسن جودي ويعيش اليوم في دير حنّا٠

[91] المصدر السابق، اقتباساً عن صحيفة *دوآر هايوم*، القدس، ٢٨ نيسان/أبريل ١٩٣٠٠

١٩٤٩ أشبه بتحقيق أمر خيالي، وكانت إحدى الخطوات الأولى التي قامت بها الدولة الجديدة هي مصادرة أراضي اللاجئين وتحويلها إلى ملكية قومية لليهود حصرا.

بدايات شراء الأرض في لوبية:

كان جميع سكان لوبية تقريباً يملكون أراض. كانت أراضي القرية قد قسمت، بحسب رواية أبو ماجد، إلى أربعة أقسام متساوية ووزعت على الحمائل المختلفة، ووزع كل ربع على مجموعة من العائلات بموجب حجم كل واحدة، وذلك حسب التقسيم التالي: العجاينة مع الحجاجوة؛ والزملوط مع الشهابية؛ والعطوات مع العصافرة؛ والشناشرة مع الفقرا. وأضاف: "كان مأمور الطابو ياسين الحمزة من حمولة الحمزات-العجاينة، وكانت الأرض المقسمة على نوعين: أرض العطل وهي مراع صخرية غير قابلة للزراعة، وكانت ملك للدولة يقولون لها جفتلك بالتركي* وأرض المشاع وتعود ملكيتها للقرية بأكملها ولا يملكها شخص محدد."

يذكر أبو عصام في مذكراته إن "الأرض من شمالي لوبية حتى حدود طبريا كانت لعائلة الشناشرة. وقد أخذت كل عائلة أرضاً بحسب عدد الأشخاص فيها. أما سهل الحمى فقد قسّم بالتساوي بين جميع العائلات.[٩٢] وكانت الحمولة توزع الأرض على العائلات المختلفة وعلى أفراد كل عائلة. كانوا يقيسون الأرض بالفدان (ويعادل ٢٠٠ دونم)."

لقد شملت الأراضي الخاضعة لنظام التقسيم تلة الخيمة على بعد مائتي متر من بئر الخان حيث نصب أرناط قائد الصليبيين خيمته، وكذلك أرض الكساير التي لقبت بذلك لانكسار الصليبيين فيها. ويذكر ملف الاستخبارات الصهيونية وجود مائة دونم تابعة للأوقاف ومسجلة باسم المسجد، تبلغ قيمتها بحسب دائرة تسجيل الأراضي ستة وخمسون ليرة فلسطينية.[٩٣]

---

* الجفتلك في الاستعمال العثماني الرسمي في نهايات القرن التاسع عشر هي الأرض الزراعية المملوكة من قبل السلطان، وليس الأرض "الموات" والأرض "المتروكة" التي يطلق عليها الراوي هنا "أرض العطل" (المترجم).

[92] تشكل سهل الحمى من القطع التالية: الخلالات، دامي، العقبة، الغدران، المعابر، البصاص (الماعونية)، أمّ السيوف، بستوم، سرجوني، الكراسي، حلحول، الزعفرانية، البوسكندية، المعترضة، أم خيط، الملعبي، البرانس، الجمرة، الصحن، القنارة، الكروم، العريض، الخروبي، التل، راس الزيتون، والمدان.

[93] لوبية (قضاء طبريا)، ١٩٤٣-١٩٤٤، مصدر سابق الذكر <بالعبرية>.

بدأ اليهود بشراء أراض في لوبية ومناطق أخرى في الجليل منذ أواخر القرن التاسع عشر.[٩٤] وكانت المؤسستان الأكثر نفوذا في نشاط شراء الأراضي هما جمعية الاستعمار اليهودي[٩٥] Jewish Colonization Association والصندوق القومي اليهودي Jewish National Fund (أو كيرن كاييمت ليسرائيل كما يعرف بالعبرية، أي الصندوق الدائم لإسرائيل). وقد أقيمت بعد الحرب العالمية الأولى شركة ذات مساهمة محدودة باسم شركة تطوير أراضي فلسطين (بيكا) Palestine Land Development Company لإدارة أراض يملكها اليهود في فلسطين.

لم تكن غايات الجمعيات اليهودية بيّنة تماما للفلاحين العرب الفلسطينيين في تلك الفترة، أما بالنسبة للحركة الصهيونية فكان اقتناء الأراضي يشكل عنصرا جوهريا في مشروع إقامة "بيت قومي" لليهود في فلسطين. ومن الجدير التنويه هنا بأن اليهود كانوا يملكون قبل العام ١٩٢٠ ٣% من أراضي فلسطين، معظمها في السهل الساحلي والقدس.[٩٦]

لم تكن فلسطين أرضاً بلا شعب كما وصفت في خطاب الحركة الصهيونية، تكريرا لمقولة أحد زعماء الحركة الشهيرين وهو الكاتب البريطاني الصهيوني إسرائيل زانغويل Israel Zangwill.[٩٧] لكن إنشاء دولة قومية لليهود سيترتب عليه فيما بعد تهجير أهل فلسطين العرب واستلاب أراضيهم.

كانت فكرة التهجير ماثلة في ذهن الحركة الصهيونية منذ البدء، فكما ورد على لسان ثيودور هرتسل، مؤسس الحركة الصهيونية:

---

[94] المصدر أطروحة دكتوراة غير منشورة لسحر هنيدي بعنوان: "سير هربرت صموئيل، الصهيونية، والعرب الفلسطينيين ١٩٢٠-١٩٢٥". (مانشستر: جامعة مانشستر، ١٩٩٥). مأخوذ عن جريدة **الحياة**، أعداد ١٢٢٢٢ و ١٢٢٢٣.

[95] أقيمت هذه الجمعية برأسمال خاص يبلغ مليوني جنيه استرليني في العام ١٨٩١ وكان مؤسسها البارون موريتس هيرش، ومن ثم سجلت كشركة للمساهمة المحدودة بموجب القانون البريطاني.

[96] Cmd. 1785, *A Survey of Palestine 1945-1946*. Jerusalem, vol. I, Chapter 8, pp.244, cited in Sami Hadawi, *Palestinian Rights and Losses in 1948, A Comprehensive Study*. (London: Saqi Books, 1988) p. 44.

[97] كان أول من أطلق هذه العبارة بحسب مصالحة هو اللورد شافتزبيري Lord Shaftesbury في العام ١٨٥١، وليس زانغويل Zangwill. انظر مصالحة، مصدر سابق الذكر، ص. ١٣. في العام ١٩١٤ صرح حاييم وايزمن، الذي أصبح فيما بعد رئيسا للمؤتمر اليهودي العالمي وأول رئيس لإسرائيل، بأن "الصهاينة الأوائل كانوا يفهمون الصهيونية في مرحلتها الأولى على أنها تقوم على عوامل ميكانيكية: توجد أرض تدعى بالصدفة فلسطين، وهي بدون شعب، وبالمقابل يوجد شعب بدون أرض، هو الشعب اليهودي. ماذا نحتاج أكثر [من هذا المصادفة] لنضع الجوهرة على الخاتم، فيتوحد هذا الشعب بهذه الأرض؟!" يورد مصالحة (ص. ١٢) هذا الاقتباس من خطاب ألقاه وايزمان في اجتماع للاتحاد الصهيوني الفرنسي في باريس بتاريخ ٢٨ آذار ١٩١٤ نشر في: *Letters and Papers of Chaim Weizmann*. Vol. I, Series B, Paper 24. (Jerusalem: Israel University Press, 1983) pp. 115-116.

"حين نحوز على الأرض سوف نجلب المنفعة المباشرة للدولة التي تستقبلنا. يجب أن نحصل بشكل لبق على ملكية الأراضي التي تخصص لنا. يجب أن نشجع السكان المعدومين على المغادرة إلى ما وراء الحدود عبر خلق عمل لهم في البلاد الانتقالية ومنعهم من العمل في بلدنا... سيقف ملاك الأراضي إلى جانبنا. يجب القيام بفعل التملك ونقل الفقراء بتكتم وحذر... دع أصحاب العقارات يعتقدون أننا مخدوعون بشراء شيء بمبالغ أعلى من ثمنه الحقيقي... فنحن لن نبيعهم أي شيء بعد ذلك."[٩٨]

لم تحصل عملية شراء الأراضي وتراكمها في أيدي الحركة الصهيونية في فراغ قانوني وسياسي، إنما أتيحت عبر التشريعات العثمانية والانتدابية البريطانية المختلفة،[٩٩] منذ قانون الأراضي العثماني الصادر عام ١٨٥٨ (وخاصة التعديلات اللاحقة التي أتاحت للأجانب اقتناء أراضي ضمن حدود الإمبراطورية) إلى قانون تحديد الملكية الانتدابي لعام ١٩٢٨. لقد قامت هذه التشريعات المتلاحقة بالتأسيس لنظام من ملكية الأرض، جعل فلاحين في مناطق عديدة، خاصة في السهول، عرضة لعملية فقدان الأرض.

لقد أرتبط تسجيل الأرض في الطابو العثماني بمساعي الدولة لفرض التجنيد الإجباري ونظام جديد للضريبة في نهاية القرن التاسع عشر، ولذا يعتقد المؤرخون أن الفلاحين كانوا يتجنبون تسجيل الأرض بأسمائهم تفادياً للتجنيد والضريبة. وقد كانت رسوم التسجيل عالية نسبياً، مما أدى بالكثيرين إلى الاقتراض من البنك ورهن أراضيهم. وكان المخاتير ورؤساء العائلات هم المستفيدين الأوائل من هذا الوضع إذ تسنّى لهم التلاعب بمخاوف أصحاب الأراضي. فقد بلغت نسبة الأراضي المسجلة في العام ١٩١٤ ٢٥% فقط. وثمة أيضا اعتقاد بأن بعض الفلاحين أقدموا على تسجيل أراضيهم باسم أحد الملاكين الغائبين أو المختار مما أتاح لهم إمكانية بيع الأرض لاحقاً من أجل الربح ودون معرفة أصحاب الملك الأصليين. كان الفلاح يخسر أرضه المرهونة حين لا يقدر على دفع الضريبة. وقد هاجرت بضع عائلات لوبية لتفادي دفع الضريبة. وذكر أبو ماجد أنّ عائلة البكراوي انتقلت إلى حوران لهذا السبب تحديدا، وعاد أحد أبنائها إلى لوبية بعد حين.

نتجت معظم مبيعات الأراضي في لوبية عن معاملات أجراها عبد الغني بيضون وهو مالك كبير من بيروت، مع مؤسسات الاستعمار الصهيونية. كانت عائلة بيضون وسرسق وعائلات بيروتية أخرى تملك أراض واسعة من السهول الخصبة في فلسطين، وترتبط

---

[98] Raphael Patai (ed.) *The Complete Diaries of Theodore Herl.* Vol. I (New York: Herzel Press and T. Yoseloff, 1960) pp. 88-89.

[99] أنظر هداوي للمحة عامة عن التشريعات ذات الصلة: هداوي، مصدر سابق الذكر.

بعلاقات جيدة ببيروقراطية الدولة العثمانية. وكان لوبيون قد اقترضوا أموالاً من عبد الغني بيضون مقابل رهن أراضيهم له وتمت المعاملات في البنك الزراعي العثماني في سمخ.[100]

لقد جرت أول معاملة أرض في لوبية في العام ١٨٨٠، إذ بيعت قطع أرض إلى زكي أفندي بيضون، ومن ثم انتقلت بالمزاد العلني إلى عبد الغني بيضون الذي باعها إلى ممثل جمعية الاستعمار اليهودي ناثان نركيس لافين، وكان هذا مواطناً فرنسياً. وفي شباط ١٨٨٨ جرت معاملة أخرى بين مصطفى العلي وعبد الغني بيضون، حيث رهن الأول أرضا مسجلة في كواشين رقم ١١٣ و ١١٢.

وقد اشترى البارون روتشيلد قسما من أرض لوبية في العام ١٩٠٢ إلا أن اللوبيين "رفضوا تسليم الأرض إلى أصحابها الجدد بالرغم من تسلّمهم ثمن الأرض بالتمام."[101] كان هذا الحادث جزءً من مواجهات عديدة بين سكان لوبية ومستوطنة السجرة، وأحد أهم الأسباب لرفض اللوبيون تسليم الأرض هو أن الصفقة بين بيضون وجمعية الاستيطان اليهودي كانت قد تمت دون معرفتهم. زد على ذلك أن الأرض كانت قد بيعت كقسم في المشاع وليس كأرض مفروزة.[102]

تفيد مصادر في الأرشيف البريطاني بأن معظم مبيعات الأراضي تمت في عهد الانتداب بين العامين ١٩٢٠ و ١٩٤٣، فقد ارتفعت ملكية الأرض اليهودية في فلسطين عامة خلال هذه الفترة من ١،٠٢٠ كم مربع (في العام ١٩٢٥) إلى ١،٧٣٤ كم مربع (في أيار ١٩٤٨).[103] وتفيد نفس المصادر الانتدابية بأن الأراضي المملوكة من قبل اليهود في لوبية بلغت في العام ١٩٤٤-١٩٤٥ ١،٠٥١ دونماً من أصل ٣٩،٦٢٩ دونم هي مجموع

---

[100] ويعرف أيضاً عن يوسف قعوار أنه كان يقرض الفلاحين مقابل رهن أراضيهم.

[101] بنتسيون ميخائيلي، **السجرة، تاريخها وسكانها: ٧٥ عاما على تأسيسها ١٨٩٩-١٩٧٣** <بالعبرية>. تل أبيب: عام عوفيد، ص.ص.٢٠-٢١.

[102] المعاملة بين عبد الغني بيضون وناثان نركيس لافين مذكورة في وثيقة بالفرنسية محفوظة في الأرشيف الصهيوني المركزي (CZA/J15/7459, p. 1) بعنوان: "Acquisition Terrain Loubieh" [شراء أراضي لوبية] مؤرخة ٣١ آذار ١٩٤٣، جاء فيها ما يلي: "Le terrain de Loubieh a ete achete (en Mucha) ... il y a 43 ans environ" [أي: تم شراء أرض لوبية (بالمشاع) قبل حوالي ٤٣ سنة]. ويذكر ملف آخر بالفرنسية بعنوان "Project de Colonisation a Lubya-Sarjouni" [مشروع الاستيطان في لوبية-سرجوني] (CZA/ J15/5587) أن الأرض التي اشترتها شركة تطوير أراضي فلسطين PICA حتى الرابع من شباط ١٩٤٥ في موقعين في هما لوبية وسرجوني تبلغ مساحتها كالتالي: في السرجوني ٢،٦٨٢ دونم، وفي لوبية ٣،٤٤٦ دونم.

[103] Walter Lehn, *The Jewish National Fund.* (London: Kegan Paul International, 1988) p. 85; Table III, "Jewish Land Ownership in Palestine," *ibid*, p. 74; also see, A. Granott (1956), *Agrarian Reform and the Record of Israel.* (London: Eyre & Spottiswoode), p. 28.

أراضي القرية.[١٠٤] أما المصادر اليهودية فتفيد بأن بيكا كانت تملك ٣،٤٨٤ دونما في لوبية و ٢،٦٨٢ في سرجوني المجاورة.[١٠٥]

الوكلاء والسماسرة في لوبية:

يتذكر اللوبيون عدة أشخاص يهود نشطوا في مجال شراء الأراضي في القرية، فقد سمع جميع المسنيين مثلاً عن يوسف نحماني وكيل جمعية الاستعمار اليهودي في حيفا. قال أبو طلعت: "إذا قلنا أننا لم نبع أراض، ستبيّن الوثائق عكس ذلك. نعم، باع الكثيرون قطعا من الأرض لليهود. باعوها من خلال رجل يدعى يوسف نحماني. جاء مرة شيخ من عائلة الخالدي وحثّنا على عدم البيع لليهود. قال: كيف يمكنكم أن تبيعوا الأرض بجنيه للدونم؟ ألم تكن هذه الأرض لآبائكم وأجدادكم على مدار آلاف السنين؟[١٠٦] ألا تخافون الله! عرضت اللجنة العربية العليا أن تشتري الأرض من أولئك الذين يرغبون بالبيع، لكن لم يحدث شيء في الموضوع."

وبحسب أم طلعت فإن الأراضي كانت قد بيعت للعرب ولليهود على حد سواء. قالت: "باع أولاد حمزة أرضهم لأعمامهم مقابل الذهب، لكنهم لم يجروا معاملات رسمية فذهبوا إلى طبريا وباعوا الأرض ذاتها مرة ثانية لليهود. كان وكيل اليهود يوسف نحماني. كان اليهود يعطون اللوبيين أحيانا أرضا بجوار القرية بدلا عن أرض بجوار المستوطنة."

وقال أبو مجدي: "عقد نحماني اجتماعا مع المسنين واقترح عليهم أن يأتوا إلى السكن في طبريا مع حمولة الطوافرة، لكنهم رفضوا قبول ذلك خوفا من أن يتّهموا بالعمالة. قالوا له: سنبقى مع أهلنا ونترك الأمر على الله." وقد أكد ناحوم عبّو على دور نحماني في شراء الأراضي في لوبية: "اشترى نحماني الكثير من الأرض في لوبية، وكان اليهود يجمعون النقود لأجل هذه الغاية. هذا لا يعني أنهم أرادوا طرد العرب، لكنهم أرادوا الحيازة على الأرض، والعرب أرادوا بيع الأرض."

---

[104] الخالدي، لكي لا ننسى، مصدر سابق الذكر، ص [redacted] وكذلك *Village Statistics 1945*

[105] مصدر سابق الذكر، ص. ٧٢.
CZA/J15/5587

[106] من تقرير أعدّه شعبان وناصر الخالدي للقيادة الإسلامية في القدس، مصدر سابق الذكر.

وروى أبو ماجد عن "أربعة أشخاص من القرية قدّموا العون لنحماني في شراء الأراضي من اللوبيين." وقد طلب مني عدد من اللوبيين الذين أجريت معهم مقابلاتٍ ألا أذكر أسماء هؤلاء نظرا لحساسية الأمر. قال أبو ماجد: "أقام نحماني خيمة لهؤلاء الأربعة وكان يذبح كبشا كل يوم ويوزعه عليهم. كان س. يُعرف كخارجي، بسبب المعونة التي قدّمها لنحماني، وكان عليه أن يختبأ حتى انتهاء الثورة في العام ١٩٣٩. وبعد ذلك توقف الناس عن بيع الأرض إلا أنهم ظلوا يتبادلون القطع التي كانت تقع بالقرب من المستعمرة."

وقد ذكر أبو محمد الكيلاني شخصا آخر كان سمسارا وباع أراض لليهود من خلال نحماني. قال: "في العام ١٩٧٥ جاء م. إلى هنا من الأردن في زيارة رتبها ابن عمّه من طرعان. وقد قابلته في بيت أبو محمد في المكر. بقينا كل الليل معا. سألته كم كان يملك من الأرض. قال إنه كان يملك ١،٠٠٠ دونم حصل عليها من نحماني. كان هذا يشتريها ويسجلها في المعاملات الرسمية باسمه.* وقال إنه وجد عقود ملكية باسمه في السجل العقاري في عمان ووزع الأرض على ولديه وزوجته كالتالي: ٤٠٠ دونم لابنه البكر محمد و٢٠٠ للابن الثاني محمود و٢٠٠ لزوجته."

وقالت أم طلعت: "كان الناس يلحون على م. أن يشتري أرضهم. كان كل دونم في ذلك الوقت يكلف ٩٠ قرشاً. كان م. يعمل مع نحماني، وعندما زار لوبية قبل أن يموت ذهب إلى طبريا للبحث عن زوجة نحماني." وحين قابلت أحد أخوة م. في إربد وسألته عن مدى صحة ما يقولون عن أخيه أنكر ذلك تماماً. قال إن بعض اللوبيين طلبوا من أخيه أن يبادلوا أراضيهم مع اليهود.

وكانت عدة مجموعات من لوبية قد استهدفت المتورطين في بيع الأرض، منها "عصابة الكف الأسود". وفي نهاية الأربعينات حاول أحد الثوار اغتيال شخص مشهور بتعاونه مع

---

* في العام ١٩٣٩ أصدرت بريطانيا وثيقة التزمت فيها بتحديد انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود، وقسمت فلسطين إلى ثلاث مناطق لهذه الغاية: المنطقة A، يمنع فيها انتقال الأرض من العرب إلى اليهود ؛ المنطقة B، يسمح فيها بيع الأرض من العرب إلى اليهود ضمن شروط خاصة وبموافقة رسمية؛ والمنطقة C، لا يوجد فيها أي تحديد على انتقال الأراضي. إلا أن انتقال الأرض في منطقة A و B لم ينقطع تماماً جرّاء ثغرات قانونية لم تعالج إلا في منتصف الأربعينات، وكانت الوسيلة الشائعة لتفادي هذه القوانين أن يقوم الوكيل العربي بتسجيل الأرض باسمه والسماح لليهود باستغلال أرضه، كما يبدو الأمر في قصة م. المذكورة هنا. وكانت وسيلة أخرى شائعة هي أن يقوم البائع العربي بإعطاء توكيل قانوني للمشتري اليهودي يضمن له نوع من السلطة على الملك دون حق ملكية فعلية. وقد ركّزت القيادة الفلسطينية جهدها في تلك الفترة في الضغط السياسي على الحكومة لتعديل ثغرات القانون التي تسمح بتسرب الأرض بهذا الشكل، وكذلك في نشاط "صندوق الأمة" (برئاسة أحمد حلمي باشا) الذي كان يعمل على الحصول على توكيل قانوني ثان باسم الصندوق من أصحاب الأرض العرب مما يخلق تعقيدا قانونيا أمام أصحاب التوكيل الأول في حال أرادوا التصرف بالأرض (المترجم).

نحماني. وقد شهد يوسف الماني مقتل يهودي مغربي اسمه أبو ريحا، نشط في تبادل الأراضي بين العرب واليهود في الجوار. قال: "كنت في طبريا في العام ١٩٤٦ وشاهدت رجلا يرتدي جلبية اقترب منه ومد يده بسرعة وأطلق النار عليه. فصرخت: قتله، قتله! وقبل أن يقع على الأرض حاول التمسك بكتف الشيخ أبو خليل الطبراني فأسقطه معه على الأرض."

وأضاف: "بعد ذلك رأيت رجلاً يحمل أبو ريحا وينوح. كان الشخص الذي قتله يدعى يوسف عبد الغني من عصابة الكف الأسود وهي الجناح العسكري للثورة. وكان عبد الغني ذاته قد قتل رئيس بلدية طبريا بعد ذلك بعدة أشهر خلال المواجهات بين الفلسطينيين واليهود."

عندما زرت الأردن في العام ١٩٩٦ حاولت مقابلة يوسف عبد الغني وقيل لي إنه توفي قبل عدة أشهر. كان عبد الغني الناشط الأول ضد بائعي الأرض وكان من عائلة فقيرة في لوبية.

بيع الأرض في الأرشيف

لقد عثرت خلال بحثي في الأراشيف الاسرائيلية على مئات الوثائق المتعلقة بالأرض في لوبية، بينما لم اعثر إلا على وثائق معدودة مع اللوبيين أنفسهم. ثمة لذلك علاقة بالفارق بين الطرفين في علاقتهما بالأرض، إذ أن اللوبيين الذين زرعوها وحصدوا ورعوا في أراضيهم كانوا يعتبرونها لهم مسلّما دون الحاجة إلى وثائق لإثبات ذلك.

تعكس وثائق دائرة تسجيل الأراضي الانتدابية في طبريا والقدس وكذلك وثائق جمعيات الاستيطان اليهودي، المستوى الذي بلغته عملية شراء الأرض المنظمة ومدى تعاون البريطانيين في تسييرها. تبين الوثائق المختارة أدناه أسلوب نشاط جمعية الاستيطان اليهودي (ومقرها حيفا) في فلسطين عموما وأثر ذلك على لوبية خصوصاً.[٤٠]

في ٣١ تموز ١٩٢٣ أرسل فرع مسجل الأراضي في طبريا الرسالة التالية للمكتب المركزي في القدس بخصوص طلب جمعية الاستيطان فرز المشاع في لوبية.

"لقد اشترت جمعية الاستيطان اليهودي أسهم غير مفروزة في قطع عديدة في قرية لوبية. لقد حاولت الجمعية المذكورة فرز الأرض خلال العهد العثماني وقدمت طلبات بذلك إلى المحكمة عدة مرات دون نجاح. مؤخراً، قبل القرويون الفرز بالاتفاق وتم مسح جميع أراضي القرية. قسمت القرية إلى قطع حسب الحدود المرسومة في الكوشان. وقد وزعت الأرض الزائدة، في حال وجودها في محل ما، بالتساوي على أصحاب الكوشان في ذلك المحل. وبعد مسح القطع وتعيينها اتفق القرويون مع الجمعية بأن تأخذ هذه الأخيرة ثلاث أو أربع قطع كاملة مكافئة لنصابها من أقسام الأرض الموزعة على جميع قطع الأرض الاثنتي عشرة التي تتكون منها القرية. وبذلك توزع باقي الأرض بين القرويين وتأخذ الجمعية أرضها مركزة في قسيمة واحدة."

"السجل الذي قيدت فيها الأراضي التي اشترتها الجمعية وكذلك بعض الكواشين الموجودة في أيدي القرويين مفقود، وكذلك الوثائق المتعلقة بتلك الكواشين غير موجودة في المكتب، لكن يوجد دفتر مصدق من قبل مأمور الطابو من العام ١٣٢٨ هـ/١٩٢٠ م يبين بشكل واضح عدد الأسهم والتاريخ واسم كل شخص باع للسيد بيضون، وهذه الأرقام تتوافق مع الدفتر الأساس للوبية الموجود أيضا في المكتب.

"كواشين الجمعية موجودة وكذلك كواشين معظم القرويين موجودة معهم ولن يكون صعبا العثور على جميع المالكين المسجلين في القرية المذكورة."

ثم بعث مسجل الأراضي في طبريا إلى المكتب المركزي في القدس يعرض طريقتين لكيفية تقسيم الأرض ويطلب الموافقة على مخططه. وقد اعتمدت في ذلك على المخطط الأصلي الذي وقعه المالكون من القرية. تقول الوثيقة:

"كواشين الطرفان في ملف نمرة ٤٩٧ متوفرة لكن كواشين ذياب الجودي في ملف نمرة ٤٩٨ مفقودة، وهو يقول إن الحكومة هي التي أضاعت كواشينه وقد تقدم بورقة حساب من البنك الزراعي حصل عليها بعد الاحتلال، تذكر فيها نمَر الكوشانات. لكنّنا أمر من القيم العام public custodian لتسجيل البعض باسم ذياب الجودي بعد أن سدد دينه (٢٩/٢٢ أمر رقم ٢٨٥ بتاريخ ١٤ شباط ١٩٢٢). أطلب تعليماتك حول ما إذا سيتم قبول خطة عامة لجميع المعاملات أو أن استمارة منفصلة L.R.27 يجب أن تحضر لغرض الفرز..."

"توقيع

مسجل الأراضي في طبريا"

في ٢٩ أب/أغسطس ١٩٢٣ أجابت دائرة تسجيل الأراضي في القدس بالموافقة على محتوى الرسالة وطلبت معلومات إضافية وكواشين موقعة من قبل المختار وشخصين آخرين من أعيان القرية. وفي حالة خليل إبراهيم مصطفى، تم طلب شهادة تفيد بأنه "المالك دون منازعة لـ ١٦ من ٢٤ قسم في قطعتي الفوقا وقدرات [الصحيح: غدران] وأن هذه الأرض لم تبع أو ترهن. وكذلك فإن صالح ابن أمين العلي عثمان لم يفوض محمد الكسين [الصحيح: الحسين] بأن يقوم بالفرز بدله، وإلى أن يتم ذلك لا يمكن اعتبار الفرز ساري المفعول..."

وفي رسالة مؤرخة ٢٦ كانون أول ١٩٢٣ مبعوثة من دائرة تسجيل الأراضي في القدس يذكر أنه: "لا يوجد دلائل كافية تثبت أن أم السيوف والتلول ومهبة برانس والمعترضة والمعبر وأم لبن [وهذه أسماء قطع أرض في لوبية] كانت سابقا مسجلة باسم جمعية الاستيطان اليهودي، ولذا وجب دفع خمسة بالمائة من قيمة الأرض بسعر السوق كبدل تسجيل..." وتذكر رسالة أخرى بنفس التاريخ:

"وجب على وكيل جمعية الاستيطان اليهودي تقديم إفادة كتابية يذكر فيها أنه بالرغم من أن القطع الإحدى عشرة جميعها مسجلة باسم الجمعية إلا أن الجمعية لا تملك سوى ٢١ من ٢٤ قسم، وأن الباقي، ٣ من ٢٤ تعود ملكيتها إلى عبد الرحمن ابن عبد العزيز باكار."

"ويجب أن تذكر الإفادة بشكل واضح أن جمعية الاستيطان اليهودي تعترف بأن عبد الرحمن يملك ٣ من ٢٤ قسم ليس فقط في قطع المهبة التحتى، والمهبة الفوقا، وقطعة شيخ أحمد، وأم لبن، والحجر، وهي القطع التي قدمت إزائها كواشين، إنما أيضاً القطع الإحدى عشرة جميعها المذكورة في الطلب..."

وتبين وثائق أخرى إشكالية مطلب الجمعية بفرز الأرض نظراً لصغر قسمّها فيها. في ٢٧ كانون أول كتبت الدائرة المركزية لفرع طبريا تقول:

إنّ طلب الفرز غير سليم. لا يمكن فرز أم العنق والتل لأنه بحسب شهادة المختار وشرحك للمسألة فإن قسم الجمعية وورثة يونس الأحمد يبلغ معاً الخُمس فقط، ولا يمكن أن يكون الفرز صحيحا إلا بموافقة جميع من يخصهم الأمر.

لم تقدم الجمعية أي كوشان يثبت ملكيتها لقطعة الأرض المسماة "البرانس" ولذا لا يمكن تسجيلها إلا بشهادة خطية من المختار تفيد بأن الجمعية كانت في حيازة دون منازعة على الأرض منذ عشر سنوات.

لم تكن جمعية الاستيطان اليهودي راضية عن مجريات عملية التسجيل، كما يظهر في رسالة من ممثل الجمعية في حيفا إلى دائرة تسجيل الأراضي في القدس مؤرخة ٨ كانون ثاني ١٩٢٤، يحتج فيها على سياسة التسجيل ويطالب إما أن يتم إجراء الفرز أو أن تجرى عملية تبادل. تُلقي هذه الوثيقة الضوء على ارتباط مفهوم المبادلة، أو الفصل بين الجيران، بمبدأ الفصل المناطقي الذي أسّس لكيان اجتماعي وسياسي يهودي خاص.

يهودي،

"إن أراضي لوبية مسجلة في الطابو العثماني كقطع أرض صغيرة تبلغ كل منها بضع دونمات.

"تملك جمعيتنا أقساما في كل قطعة أرض، وتقع هذه القطع أحيانا في كوشانين أو أكثر، وهي مسجلة باسم موكّلنا ناثان نركيس لافين.

"وفي الوقت الحاضر نعمل على استبدال اسم الوكيل باسم الجمعية وفرز الأرض أو إجراء مبادلة مع شركائنا في الأرض. لدينا القرار المطلوب من المحكمة وقد تقدمنا بطلب تسجيل إلى مكتب تسجيل الأراضي بطبريا.

"وعندما راجعنا السجلات وجدنا أن السجلات التركية مفقودة ولذا اضطررنا بموجب الإجراءات أن نقوم بمسح الأراضي المذكورة والتي تشمل جميع أراضي القرية المذكورة تقريبا. لقد أوجبنا هذا العمل الضخم تحمل صعاب كثيرة وتكاليف باهظة، لكن النتائج ذات أهمية قصوى للطابو لأنّها تساعد في تعديل السجلات.

"ثم أننا اعتقدنا أن هذا العمل سيلاقي الدعم الكبير من دائرة تسجيل الأراضي لأنه يسهل معاملات الأراضي في القرى، التي توقفت بسبب فقدان السجلات وعدم مقدرة القرى على تحمل تكاليف مسح جديد من أجل تسجيل أراضيهم.

"لكننا نشعر أن دائرة تسجيل الأراضي تقوم بعكس ذلك وتضع صعوبات جمة أمامنا من خلال رسوم التسجيل. لقد دفعنا نسبة رسوم الأرض لمحكمة الأراضي وقبلنا دفع ٢٥ قرشاً لتغيير اسم الوكيل على كل قطعة حسب لائحة الرسوم وكذلك نسبة رسوم الفرز، لكننا دهشنا لمطلب دائرتكم بان ندفع ٢٥ قرشا عن كل كوشان كرسوم تصحيح المساحة.

"٠٣ في شباط ١٣٠٦هـ/١٨٨٨ رهن مصطفى العلي ممتلكاته كما هي مسجلة باسمه في كواشين رقم ١١٢-١١٣ إلى عبد الغني بيضون٠

تعود آخر الوثائق الرسمية الخاصة بمعاملات الأرض من بيع وشراء وتسجيل وكذلك المعروضات الخاصة بالأرض المحفوظة في الأرشيف الإسرائيلي إلى العام ١٩٣٥٠ فمن المعروف أن عمل الحكومة خلال الثورة الكبرى بين الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩ كان قد تقلص بشكل ملحوظ، خاصة في الكثير من المناطق الريفية، وقد انعكس هذا بطبيعة الأمر على الأرشيف الرسمي لجميع دوائر الحكومة٠

ويوجد ذكر لبيع الأراضي في لوبية في مصدر آخر يرجع إلى شعبان سلمان، شيخ منطقة الحولة، الذي زار لوبية لمدة ثلاثة أيام في آذار ١٩٣٦٠ وقد ذكر في تقريره أن اليهود اشتروا قطع أرض في لوبية وأقاموا عليها مستوطنة٠ وكان في وعظه في قرى قضائي الحولة وطبريا يحث الناس على الامتناع عن بيع أراضيهم لليهود أو للسماسرة العرب٠ وقد ذكر أن شخصاً من عرب السمايرة يعيش في الغوير بجانب طبريا باع أربعة آلاف دونم لشخص من عكا وهذا باعها لاحقا لبيكا٠[١٠٧]

وكانت آخر وثيقة متعلقة بلوبية قبل النكبة، عثرت عليها في الأرشيف الدولة الإسرائيلي، عبارة عن معروض من محمد عبد الرحمن محمد وأخويه حوران ومطلق، وأبناء أخيهم محمد ولطفي سعيد، موجه ليس لسلطات الانتداب إنما إلى نائب رئيس اللجنة العربية العليا، المفتي أمين الحسيني، ويحمل تاريخ ١٦ تموز/يوليو ١٩٤٧٠ وموضوع المعروض هو شكوى بخصوص خمسين دونما من الأرض يملكها المذكورون بجانب مستوطنة حزوريم٠ جاء فيه:

إن الصهاينة يستغلون أرضنا كل الوقت، في الصيف والشتاء من خلال الشوارع التي تشق أرضنا٠ وغرضهم هو أن نبيع الأرض لهم، وهذا ما لن نفعله ما دمنا أحياء٠ وقد وافقت بيكا على تبادل الأرض بقطع قريبة من بيوتنا، وسيعطونا دونمين مقابل كل دونم٠ لقد ارتأينا أن هذا التبادل لا يضر بمصالحنا الوطنية وأنه من الأفضل أن يتم منعا لأي جريمة يمكن أن تقع كرد فعل على تحرش اليهود، ولذا نطلب موافقتكم على التبادل٠

---

[107] من تقرير سلمان شعبان وناصر الخالدي إلى القيادة الإسلامية في القدس، مصدر سابق الذكر٠

شخصان فقط من لوبية سمح لهما بدخول أرض القرية بعد العام ١٩٤٨. أحدهما هو مصطفى أبو دهيس، ابن المختار، الذي كان يعرف بعلاقاته الوطيدة بالبريطانيين والمسئولين الصهاينة قبل العام ١٩٤٨. قال حسام أبو دهيس: "جاء عمي إلى إسرائيل في العام ١٩٧٣ وبقي حتى العام ١٩٨٤. سكن بالأول معنا، ثمّ أعطوه شقتين في طبريا وأعطوه كذلك قطعتي أرض في دير حنا مقابل أرضه في لوبية." وقد أكد هذه المعلومة أشخاص آخرون من لوبية، منهم يوسف اليوسف، الذي قال إن مصطفى كان يملك سبعة أو ثمانية دونمات بدّلها مقابل أرض في دير حنا. وقال حسام إن عمه كان يملك بالإضافة إلى ذلك ثلاثة وعشرين دونماً في دبورية. وأضاف: "كانت له علاقات طيبة باليهود قبل الحرب في العام ١٩٤٨. حين جاء إلى هنا استقبله قادة الدولة جميعا، مثل موشيه ديان وحاييم بار ليف وآخرون. كان له الكثير من الأصدقاء من [مستوطنات] السجرة ويمّة. رفض أن يعطينا قطعة أرض في دبورية، وقد عارضه أبناء عمي في الأردن بشدة."

أبو محمد الكيلاني، وهو لوبي بقي داخل إسرائيل في العام ١٩٤٨، ورفض أن يرسل دعوة لمصطفى إلى عرس ابنه بسبب السمعة السيئة التي لحقت مصطفى. قال: "جاء مصطفى إلى هنا وكنت أحضر لزواج أبنائي فطلب مني صديق لي من كفركنا اسمه أبو ناصر أن أدعو مصطفى إلى العرس. اعتذرت منه وقلت إنه كان من الأفضل لسمعة لوبية أن لا يعود أبداً. لكنه جاء وأضر بنفسه ثم غادر."

اللوبي الآخر الذي سُمح له باستغلال جزء من أراضي لوبية هو صلاح شحاذة (أبو نمر). قال: "في العام ١٩٥٥ أستأجرت أراض من "منهال ميكاركعين، [أي سلطة الأراضي في إسرائيل] لزراعة الأشجار ولأغراض زراعية أخرى. كنت أدفع في البداية ٤،٠٠٠ ليرة إسرائيلية، والآن أدفع بين عشرة وخمسة عشر ألف شاقل إسرائيلي في السنة. أستأجر اليوم ١٨٠ دونما لزراعة الزيتون و ٥٠ دونما لمحاصيل زراعية أخرى وقد منحت تصريحا بالبناء على هذه الأرض لمدة ٤٩ عاماً. مر على وجودي هنا اليوم ٤٥ عاماً. كانت كل القرى المتروكة معروضة للإيجار بعد أن رحلت الناس وقد تم تأجير الأراضي التي لم يرغب اليهود بها للعرب الذين ظلوا في فلسطين."

"في العام ١٩٥٩-١٩٦٠ جاءت سلطة الأراضي وشرعت بغرس أشجار الصنوبر على أرض المقبرة فاعترضت على ذلك، خاصة بعد أن قال لي راع إنه رأى عظاماً في المقبرة. وبعد تقديم الاعتراض جاء المدير يحمل فتوى من الشيخ طاهر الطبري من الناصرة تصرح بمثل هذا العمل اعتمادا على تقليد إسلامي لا يمنع الناس من زراعة

الأشجار في المقابر· لكني اعترضت ثانية لأني رأيتهم يقتلعون المقبرة بأكملها بحجة زراعة الأشجار، ونجحت بإيقاف المشروع· عندي أرض في صفورية أيضاً؛ لكن أمنيتي كانت دوما أن أعيش في لوبية· أنا العربي الوحيد الذي ظل يستأجر أرضاً عربية·"

الفصل السابع

الثورة الكبرى

"إذا أطلقت رصاصتك على الماضي يمطرك المستقبل بالقنابل" (مثل فيتنامي)

تبدأ روايات معظم اللوبيين الذين قابلتهم بالنكبة عام ١٩٤٨؛ قلائل منهم بدأوا بالعام ١٩٣٦. لقد شهد عقد الثلاثينات نشوء حس متطور في وعي اللوبيين بهويتهم الفلسطينية وبفلسطين عامة، وكذلك شهد ثورة واسعة النطاق ضد الحكم البريطاني والاستيطان الصهيوني في فلسطين دامت بين الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩ وعرفت بالثورة الكبرى. كان المسئولون البريطانيون والصهاينة يطلقون أوصاف الاضطرابات وأعمال الشغب على الثورة. وهذا بالطبع مغاير تماما لما يقوله الناس أنفسهم عن دورهم في هذا التاريخ، إذ ترسم روايات المسنين المتوافرة صورة لزمن مقاومة لاحتلال أجنبي وصورة حصار وقمع ومضايقات دائمة من قبل القوات البريطانية.

تفيد المصادر البريطانية والصهيونية بأن لوبية لعبت دورا مركزيا في الثورة. كان اللوبيون يرسلون نجدات للقرى المجاورة وكذلك يطلبون المساعدة من القادة العرب في المنطقة. كان أحمد عقلة وأبو طلعت من بين أولئك الذين شاركوا بشكل فعال في الثورة الكبرى، وهما يمثلان أيضاً النزعتين السياسيتين السائدتين في لوبية آنذاك إزاء العلاقة بالبريطانيين وبالحركة الصهيونية.

لقد وظف البريطانيون سلسلة من الإجراءات شديدة القسوة لقمع الثورة. قالت أمينة إسماعيل: "كانت القوات الانكليزية تقتحم القرية وتفرض منع التجول من السادسة مساءً حتى السابعة صباحاً. كان الانكليز يجمعون رجال القرية كلّهم في وادي العين ويبقون عليهم طيلة النهار تحت حرارة الشمس، وكانوا يضعون أوراق الصبار على الأرض ويجبرونهم أن يدوسوا عليها حفاة."

شملت هذه الأعمال القمعية أيضاً حرق المحاصيل الزراعية، وفرض منع التجول والاعتقال والسجن بحق الرجال والفتيان. وحين استطاع البريطانيون إنهاء المقاومة في العام ١٩٣٩ كانت خسائر الفلسطينيين قد بلغت خمسة آلاف ضحية وخمسة عشر ألف جريح. وكانت القيادة الوطنية الفلسطينية قد أبعدت إلى خارج فلسطين منذ بداية الثورة. إلا أن المواجهات المتفرقة مع القوات البريطانية في فلسطين استمرت حتى خروجها تماما من فلسطين في العام ١٩٤٨.

المشاركة في الثورة:

جاءت الثورة الكبرى في الأعوام ١٩٣٦-١٩٣٩ نتيجة تراكم صراع أخذ يمد ويجزر في فلسطين منذ إعلان بريطانيا دعمها لإقامة وطن قومي لليهود هناك. وتعكس الاجتماعات والمؤتمرات التي عقدت عشية إعلان الانتداب على فلسطين في بداية العشرينات، في لوبية وبلدات ومدن فلسطينية عديدة أخرى كالخليل ورام الله وطولكرم، وعياً فلسطينياً مبكراً بمخاطر الدعم البريطاني للهجرة اليهودية ومشاريع الاستيطان في فلسطين.

كانت لوبية مركز نشاط سياسي ليس فقط للقرى المجاورة إنما لممثلين عن البلدات والمدن الفلسطينية عامة، فقد عقد أول مؤتمر لاتحاد العمال في لوبية في العام ١٩٢١.[١١٣] وعقد اجتماع شعبي آخر في أيلول عام ١٩٢١ بشأن أثر وعد بلفور الصادر عام ١٩١٧، شارك فيه بين ثلاثين وخمسين شخص من أرجاء فلسطين المختلفة. وكانت مثل هذه الاجتماعات تعقد سرا لتفادي ردود فعل سلطات الاحتلال البريطاني.[١١٤]

في نيسان ١٩٣٦ تأسست اللجنة العربية العليا برئاسة مفتي القدس. وقد لعبت اللجنة دور المظلة السياسية للمجتمع العربي في فلسطين. وكانت أولى خطوات اللجنة أن أعلنت الإضراب الشامل من أجل الضغط على الإدارة البريطانية لتغيير مسارها ولإيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين نهائيًا.[١١٥] وجاء من مجمل المطالب إلغاء وعد بلفور والاعتراف بفلسطين كدولة مستقلة.

---

[113] مضر يوسف عودة، **بلدة لوبية الجليلية: شهادة تاريخية**. أنظر بخصوص اجتماعات العام ١٩٢١ في لوبية وغيرها من البلدان الفلسطينية، عبد الوهاب الكيالي، **تاريخ فلسطين الحديث** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥، النسخة التاسعة). ص. ١٥٦.

[114] لم تذكر هذه الحوادث في أيٍّ من المقابلات التي أجريتها خلال البحث، ويعود ذلك لكون الأشخاص الذين قابلتهم صغارا في ذلك الوقت ولقلة الوثائق المكتوبة عن تلك الفترة، مقارنة بالثلاثينات التي كانت لأحداثها أبعادا إقليمية وعالمية أعظم.

[115] *A Survey of Palestine*. Vol. I, p. 35.

استمر الإضراب ستة أشهر وشمل قطاعات كاملة من المجتمع العربي الفلسطيني. وعندما أصدرت اللجنة العربية العليا قرارها في ١١ أكتوبر ١٩٣٦ بإنهاء الإضراب، عارضت القرار بعض القطاعات التي لم تثق بالوعود البريطانية، مما أشعل نيران الثورة. جاء ذلك بعد قرابة عام من الأجواء السياسية المشحونة التي كان لثورة الشيخ عز الدين القسّام واستشهاده في تشرين ثاني /نوفمبر ١٩٣٥ أثراً هاما فيها. وقد دامت الثورة الكبرى من أكتوبر ١٩٣٦ حتى عشية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩.

كان عزالدين القسّام قد زار لوبية وامتدح مواقف اللوبيين الشجاعة، ونجح باستمالة غالبية الشبان إلى جانبه بدل المفتي الحاج أمين الحسيني. وقد استمال القسام أيضا مخاتير القرية الذين عرفوا تقليدياً بمواقفهم السياسية الحذرة. لاحقاً، خلال الثورة، أرسلت فرق من لوبية إلى نابلس وطولكرم وجنين للمشاركة في نشاطات المقاومة.

أحمد عقلة، بخلاف مسنين آخرين من لوبية، اختار العام ١٩٣٦ نقطة بدء لروايته عن تاريخ لوبية. وقد أكّدت لي عائلته المعلومات التي كنت قد جمعتها من أرشيف جريدة الاتحاد في حيفا.[١١٦] كان عقلة فيما يبدو يعي أهمية هذه الفترة أكثر من غيره بسبب مشاركته فيها شخصيا كقائد لخلية مقاومة، وإدراكه لمخاطر الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكذلك بسبب شخصيته كقائد شجاع ومحترم، ومن ثم نشاطه في مخيم برج الشمالي كعضو في اللجنة الشعبية، مسئولاً حتّى وفاته عن شئون المخيم.

"عندما بدأنا النضال ضد البريطانيين والصهاينة عام ١٩٣٦، شكّلنا ثلاث فرق، تشمل الواحدة منها أربعين مقاتلاً. كان قادة هذه المجموعات هم صالح محمد طاه الشنشيري، وأحمد محمد عبد القادر شهابي، وأنا. كنا على اتصال مع قيادة الثورة التي أمدّتنا ببعض السلاح، وكذلك قدّم لنا أقاربنا بقيادة المختار حسن أبو دهيس إمدادات من الرجال والسلاح. بدأنا بالهجوم على مواقع العدو شرقي الجليل. كنا على اتصال بقادة الثورة في الجليل، أبو محمود وأحمد طوبي (الأخير أصله من لوبية)، وقمنا بأعمال مشتركة ضد العدو."

---

[116] مقابلة مع أحمد عقلة أجراها وجيه جابر في **فلسطين الثورة**، ١ كانون ثاني/يناير ١٩٨١، ص.ص. ١٣٧-١٤٣. وقد أضاف لوبيون آخرون تعليقاتهم على حديث أحمد قبل خمسة عشر عاماً في مخيم عين الحلوة في لبنان.

يذكر أبو حسن كيف أن مجموعة من الشبان ذهبت إلى نابلس "لإحياء الثورة في العام ١٩٣٧، وقد توفي في تلك الحملة محمد عبد القادر بكار وجرح شخص آخر من دار العاص." ويذكر نايف حسن الذي كان في المدرسة آنذاك أن "التلاميذ أرادوا الخروج في مظاهرة، إلاّ أن المعلمين منعونا من التظاهر. وفي اليوم التالي لاحظنا وجود سلك بجانب المدرسة وحين أخبرنا المدير أرسلنا إلى البيت. كانت قنبلة. جاء الجنود البريطانيون وفجروها. كانوا يخيمون في بيت دمعون في محل اسمه الكفة. ظننا في البدء أنهم هم الذين زرعوا القنبلة، لكن من المحتمل أن اليهود هم الذين قاموا بذلك."

شخص آخر نشط في الثورة الكبرى هو طاهر محمد حسين (أبو طلعت) الذي أصبح فيما بعد مختاراً في إربد، بالأردن. عرفت طاهراً حين كنت في الأردن، وكنت أزوره عدة مرّات خلال العام. يعكس إحساس حسن طاهر بالمفارقة وتحليله لتطور النضال الفلسطيني في السبعينات، حكمة رجل مسن يفوتنا نحن الشباب إدراك قيمتها في معظم الأحيان. "في العام ١٩٣٦ العديد من الشبان، ربما أربعين أو خمسين، شاركوا في ثورة عزالدين القسام والمفتي الحاج أمين الحسيني. ولذا كنا في اتصال مباشر بأبو إبراهيم الصفوري وأحمد طوبي اللذان كانا ممثلين عن [قيادة] الثورة. أذكر كذلك موت أحمد محمد من قريتنا في منطقة نابلس."

وتحلت نظرة أبو طلعت إلى أحداث الثورة بنفاذ البصيرة، خاصة في سرده لزيارة عزالدين القسام إلى القرية وتجنيد أشخاص من القرية واستشهاد ثلاثة منهم مع القسام في معركة يعبد. "عندما اشتدت الثورة جاء عزالدين القسام إلى لوبية مع وفد كبير، منهم الشيخ نوح إبراهيم، أبو أحمد حيفاوي، والشيخ سليمان. اجتمعوا بمخاتير القرية من كل الحمايل وكذلك مع الشخصيات البارزة في القرية: حسن أبو دهيس، محمد قواطين، جوهر حامد، الشيخ فواز علي شهابي، الشيخ يحيى سعيد الشهابية، الشيخ أحمد سليمان حجو، الشيخ محمود حسين، الشيخ إبراهيم ذياب، محمد ومفضي. امتدح القسام ورجاله لوبية وطلبوا عونها."

"تجاوبت لوبية وقدّمت كتيبة شاركت في المعركة الهامة في يعبد (قضاء جنين) التي استمرت ثمان ساعات. انسحب اللوبيون بعد انتهاء الذخيرة معهم، وخسارة ثلاثة رجال منهم، هم محمد محسن ومحمد الخطيب وعلي أحمد. بعدها أخذنا مزيدا من الذخيرة واتجهنا جنوبا نحو دير الغصون للمشاركة في معركة كان يقودها فرحان السعدي. قتل في

هذه المعركة القائد عبدو فرحان ومن لوبية قائد المجموعة أحمد محمد عبد القادر الشهابية ومحمد الغريبي."

ورغم أن أبو طلعت كان أحد البارزين في نشاطات الثورة، فهو يختلف في آرائه حول العلاقات الفلسطينية–البريطانية–اليهودية عن معظم أبناء جيله. "لو أننا أعطينا القيادة لمصطفى أبو دهيس لما مسّنا سوء. لقد حافظ على علاقات جيدة باليهود وكانوا يحترمونه. وكان له علاقات جيدة بالبريطانيين كذلك، وكانت أعماله التجارية في طبريا ناجحة. لقد أقنع أحد اليهود أن يشهد خلال محاكمة أخيه رمزي بتهمة قتل صالح [رقية] بأن المتهم كان معه في طبريا أثناء وقوع الجريمة."

زار لوبية إبّان الثورة العديد من قادتها لطلب المعونة. يذكر أبو ماجد زيارة للقرية قام بها نوح إبراهيم في العام ١٩٣٧. "نوح إبراهيم، هو شاعر وخطيب، جاء في أحد الأيام إلى قريتنا وخاطبنا قائلاً: اتركوا نساءكم الليلة، إننا ذاهبون لاحتلال طبريا. وقد أثار كلامه هذا الحماس في الرجال وأعطاهم مهمة قطع خطوط الهاتف بين الناصرة وطبريا. أبو غزالة (محمود العمّوري) سقط من على عامود الكهرباء وأرسلته إدارة الثورة لتلقّي العلاج في مستشفى السادات في دمشق (اليوم يدعى مستشفى التوفيق)."

يقول ناحوم عبّو أن الهجوم على طبريا ظل "نقطة سيئة في علاقاتنا بلوبية. زكي الحديف قتل في أعمال الشغب عام ١٩٣٨. كان رئيس بلدية طبريا. اقترحت على القيادة أن نهاجم العرب، لكنهم رفضوا. يغال ألون بنفسه أبعدني عن طبريا كي لا أقوم بفعل انتقامي. وعندما أصيب أخي عرف القائد أنّي مصمم على الأخذ بالثأر، فطلبوا مني أن أعاقب الذين قاموا بالمجزرة، ونفذت الأوامر." وعلمت فيما بعد في إحدى المقابلات أن يوسف عبد الغني من عصابة الكف الأسود هو الذي قتل الحديف.

Comment [MF35]: Based on an archival document that I have, a lette from Haddef with a Hebrew letterhea זאב אלחדיף , signed in English: Z. Ef (Effenfi) Haddeh

"في العام ١٩٣٨ سجنت في عكا لأني قتلت عربيا. كنت أول أعضاء الهاغاناة الذين حكموا بالإعدام في محكمة بريطانية. لكنهم خفضوا الحكم من الإعدام إلى السّجن المؤبد نظرا لصغر سني فقد كنت آنذاك في السادسة عشر من عمري. بقيت في السجن حتى العام ١٩٤٥." وكما يظهر في وثيقة مؤرخة ١٩ آب/أغسطس ١٩٤٢ مرسلة إلى حاكم اللواء البريطاني، د. هيدلي (D. Headly) فإن حاكم اللواء رفض طلب عفو لعبّو. "لا أرى سببا للتوصية بالعفو ذلك لأن العربي المقتول لم تكن له أي علاقة بالهجمة السابقة ضد أخ السجين، ولا يبدو لي أنّ هناك أية اعتبارات مخفّفة تجعلني أتفهم جريمة قتل شنيعة جدًا،

بعد عدم تنفيذ المحكمة لحكمها بالإعدام الصادر بحق المتهم." (الإرشيف الإسرائيلي، ملف رقم: 2692/T.461/N).

عندما سألت ناحوم إن كان قد قتل مدنيا أنكر فعل ذلك. قال: "لا، لقد قتلت شخصا شارك في المجزرة." إلاّ أن ضباطا إسرائيليين يهود آخرين قالوا إن العربي الذي أطلق عليه الرصاص كان رجلا مسنا ولا علاقة له بالأحداث. اسم الفلسطيني الذي قتل في ٧ أيار/مايو ١٩٣٩ هو رجب أبن حاج بيد.

احتلت لوبية موقعا استراتيجيا على تقاطع الطرق بين القرى الفلسطينية والمستوطنات اليهودية في الجليل. شارك أحمد عقلة في الكثير من المعارك ضد البريطانيين والقوات اليهودية في محيط لوبية. قال: "أذكر أننا شاركنا في الكثير من الهجمات ضد قوافل العدو بجانب كفر كنا وواحدة بقرب مسكنة على الطريق بين العفولة وطبريا. مرة احتجزنا حارس مستوطنة وادي الحمام وسلّمنا مواشي المستوطنة إلى قيادة الثورة. أذكر أن محمود قواطين، ونايف أبو دهيس، ومثقال الحسن، وإبراهيم الحسن، ومحمد إبراهيم وأحمد علي شاركوا في ذلك الهجوم."

"في معركة طبريا بقيادة نوح إبراهيم وأبو عاطف نجحنا باحتلال مقر الشرطة بالإضافة إلى مبان أخرى، وقد صعد أحدنا على السطح وأعلن الأذان. استمرت المعركة أربع ساعات. العديد من حطين شاركوا، منهم الرقيب متعب قفطان والرقيب محمد عبد الله وعبد اللطيف إبراهيم ومحمد صالح. وفي هجوم آخر سقط محمد عبد الله وعبد اللطيف. الكثيرون منا ساعدوا الثوار في صفد. أذكر أن القائد سقط في تلك المعركة."

"مرة أخذنا زمام المبادرة وهاجمنا مستوطنة يمّة، واحدة أكبر المستوطنات شرقي الجليل. انضم إلينا خمسة وسبعون رجلاً من لوبية. قتل في ذلك الهجوم قائد المستوطنة إلياهو بن حاييم وثلاثة من الحراس. ومن جانبنا أصيب درغام مطلق عبد الرحمن. هاجمتنا طائرات العدو وسقط من مجموعتنا ثلاثة رجال، يونس رشيد ومفضي حسّن وسليمان مصطفى." وأضاف أبو طلعت أن "مجموعة من الفتيان مسكوا مرة يهوديا من السجرة وقتلوه. فردت المستوطنون بالهجوم على القرية وذبح عائلة بكاملها. دخلوا القرية بلباس عسكري بريطاني رسمي."

كانت لوبية ترسل الوفود لتقديم العون للقرى المجاورة حين كانت تقع صدامات مع القوات البريطانية والصهيونية والقرى المجاورة. "ذهبت مع محمد حسن يحيى الشهابية في وقد لحضور اجتماع في بيت عبدو العيدي، قائد قرية المغار، بجوار لوبية. بعض الحضور اقترحوا إرسال مجموعة من كل قرية لنجدة لوبية. أذكر أن خوري من قرية الرامة قال بأن ليس لديهم بنادق حديثة واقترح إرسال وفد للجنة العربية العليا لطلب السلاح الحديث منهم. فقال له محمد الشهابية: هل قاتلت ضد اليهود؟ إنهم كالنساء. هل تخافهم؟ لا نريدك ولا نريد مساعدتك. فردّ الخوري: هذه وجهة نظري."

وقد زار رجال من لوبية البلاد العربية المجاورة كذلك لطلب الدعم المادي والسياسي للثورة. في العام ١٩٣٦ زار لوبيون دمشق وطلبوا مساعدة السلطات السورية. شارك في الوفد بحسب أبو طلعت كل من "نايف أبو دهيس، إبراهيم مفضي، محمود حمادي، صالح محمود صالح، محمود حسن الشهابية، والتقوا بقيادة الثورة، ومنهم عبد الحميد فاهوم وأبو إبراهيم الكبير (ممثلي الثورة الفلسطينية في سوريا)، ووعدوهم بتقديم المساعدة."

لوبي آخر عرف بمشاركته في الثورة هو صالح رقية، الذي قتله فيما بعد رمزي أبو دهيس، ابن المختار، في خلاف شخصي. قال أبو طلعت: "أذكر كيف أن صالح رقية أصر حين وصلنا مرة إلى نمرين أن يزور لوبية رغم اعتراضي على ذلك. كنت حينها عضوا في الثورة. كان البريطانيون مع مصطفى أبو دهيس ورأيتهم يقودون سيارة لاند روفر عسكرية وعليها رشاش ويتجهون نحونا."

"أطلقت الرصاص على السيارة ورد جندي بإطلاق الرصاص نحونا فأصاب صالح بكتفه. سقط صالح على الأرض. نزل الضابط البريطاني من السيارة وبيده مسدس وتوجه نحوه ظنا منه بأنّه ميت. لكن صالح أطلق النار على الضابط. لقد دهشت لرؤية الجنود يهربون تاركين ضابطهم قتيلا على الأرض. أعانني رجال من نمرين على نقل صالح إلى مقر القيادة. عذبهم البريطانيون فيما بعد ليقروا عن مكانه إلا أنهم لم يتفوهوا بكلمة واحدة."

تذكر أمينة علي إسماعيل القصة بشكل مشابه. "رأى الجنود الانكليز صالح محمد (رقية) على حصانه ومعه سلاح. بدأوا يطلقون النار عليه. كنا نراقب ما يحدث وكنا على يقين بأن صالح سقط ميتا. إلاّ أنه قتل جنديين إنكليز وجرح ثلاثة آخرين. ونجح في الوصول إلى نمرين بجوار لوبية واختفى. سمعنا لاحقاً بأن أناسا من حطين أخذوه إلى عندهم وساعدوه حتى سافر إلى دمشق. كان مصابا برجله."

وبحسب أبو يوسف فإن "بعض الرجال الذي كانوا يتعاونون مع الانكليز لحقوا بصالح إلى دمشق لقتله. ساعده أحد السكافين على الاختباء في لفة جلد في دكانه. حاصروا الطرقات لثلاثة أيام بينما اختبأ هو في الدكان. نجى وعاد إلى لوبية. فغنت له نساء القرية: صالح يا صالح يا ابو الشليشي قتلت الضابط والشاويشي.

لقد وثقت السلطات البريطانية والصهيونية بدقة لدور اللوبيين في الثورة. تذكر وثيقة محفوظة في الأرشيف الصهيوني أسماء ثمانية عشر شخصاً مضطلعاً في القتال. كان أحمد محمد قائد الثورة، وقتل في إحدى المعارك مع سعيد مفضي. وتذكر الوثيقة سليمان فطروش، فاضل الحسن، يونس رشيد، محمد شهيم، أحمد إبراهيم، أحمد قاسم، صالح محمد، علي حسين، عابد حسين، محمد حسين، محمد شعران، راضي الحميدي، فاضل يوسف، حسن ذيب، علي مصطفى.

وقد جمعت المخابرات الصهيونية معلومات عن الأسلحة الموجودة في لوبية والخطوات التي اتخذها البريطانيون ضد اللوبيين الذين شاركوا في الثورة:

"كان في القرية الأسلحة التالية: ٢٠ بندقية و١٥ مسدسا. لم يتم قتل أي شخص من القرية على يد الإرهابيين. لم تصادر الحكومة أي قطعة سلاح، ولم يبعد أو يلجأ أي شخص من القرية بسبب ذلك. وكعقاب على الاضطرابات هدمت الحكومة بيوت كل من صالح محمد (يقدر بـ ٤٠٠ ليرة فلسطينية)، علي حسين (١،٠٠٠ ليرة)، عابد حسين (٤٠٠ ليرة)، محمد حسين (٤٠٠ ليرة).

وتذكر وثيقة أخرى من الأرشيف أسماء القادة من بعثة لوبية:

العصابات في لوبية ضد اليهود والانكليز، ١٩٣٨/١٠، عابد أبو الغماس، ممثل العصابة في لوبية، محمد عبد الرحمن الفواز، قائد عصابة في لوبية ٣٩/٣/٢٤، محمد مرعي، ممثل العصابة في حطين. تهاجم هذه العصابات طبريا والمستوطنات اليهودية.[١١٧]

الهجمات على لوبية:

---

[117] انظر اعلاه.

في آواخر الثورة أصبحت لوبية عرضة للهجمات من القوات اليهودية· في العشرين من حزيران/يونيو ١٩٣٩ قام محاربون يهود شبان بقيادة شلومو شامير الذي أصبح فيما بعد قائد كتيبة في العام ١٩٤٨، ويغال آلون، أشهر قائد إسرائيلي في العام ١٩٤٨، بإطلاق النار على منزل في لوبية· وأسفر هذا الهجوم الليلي عن مقتل طفلين ورجلين وامرأة بحالة الطلق، قتلت مع مولودها·

حين سألت ناحوم عبّو إن كان يغال ألون بذاته هو الذي أعطى الأمر بتنفيذ المجزرة أنكر ذلك، إلا أنه أكد على أن آلون كان قائد الفرقة التي قطعت الطريق على القوة العربية المتجهة إلى طبريا· قال إن الايتسل (اختصار أرغون تسفائي لئومي، بالعربية: المنظمة العسكرية القومية) وهي مليشيا أنشأها قادة الصهيونية التعديلية في فلسطين، هم الذين كانوا يعتدون على المدنيين· وقد أعدم البريطانيون أحد نشطاهم، بن يوسف، بسبب تورطه في زرع قنبلة في قرية الجاعونة (روش بينا اليوم)· يعرف ناحوم ثلاثة من أصدقاء بن يوسف·

بحسب أحد شهود العيان على المجزرة، حسين محمد صالح، فإن ابن أخيه حافظ سليمان وولديه وزوجته فاطمة محمد التي كانت تضع مولودا قتلوا جميعا، وقد نجت من المجزرة الداية حفيظة وامرأة أخرى· وقد فرضت القوات البريطانية منع تجول على القرية من السادسة مساء إلى السادسة صباح اليوم التالي· كان موقع الهجوم في منطقة تعرف في لوبية بحارة المدّان·

وقد أكّدت جريدة فلسطين الخبر في عدد يوم الأربعاء بتاريخ ٢١ تموز/يوليو ١٩٣٩، وكتبت دافار جريدة الهستدروت ما يلي:

لقد وقعت جريمة جديدة في ليبيا [لوبية]، جريمة بشعة تظهر أن منفذيها قد فقدوا ما تبقى لديهم من عقل سليم وانطفأت لديهم آخر شرارة من مشاعرهم الإنسانية··· ستظل ذكرى هذا العمل··· يلاحق منفذيه التدميريين بالخزي، أيٌّ كانوا.[١١٨]

اتهمت الإيتسل في حينه بتنفيذ العملية· دافيد بن غوريون، قائد الجناح الاشتراكي في الحركة الصهيونية، وآخرون في المجتمع اليهودي، استنكروا بشكل رسمي العملية

[118] *The Haganah History Book*. Vol. III, p. 72; Davar, 22 June 1939 cited in Uri Ben-Eliezer, *The Making of Israel Militarism*. Bloomington: Indiana University Press, 1998, pp. 34-35.

ووصفوا منفذيها بالمجرمين والإرهابيين· ومفارقةً، تم الكشف لاحقاً عن أن منفذي العملية هم قوات الهاغاناه المنتمين إلى بن غوريون·[119] لقد هاجمت قوات الهاغاناه المدنيين ليس في لوبية وحدها، إنما في بلد الشيخ أيضا، ولو أن قيادة الهاغاناة لم تكن تعرف بذلك·[120]

وقد بررت الايتسل هجمات الهاغاناة ضد لوبية وبلد الشيخ كردٍّ مناسب لهجمات سابقة كان الفلسطينيون قد قاموا بها·

قبل حادثة لوبية بثلاثة أيام، في الثاني عشر من حزيران/يونيو ١٩٣٩، دخل بضع رجال متخفين بملابس ميكانيكيين إلى بلد الشيخ بجانب حيفا واختطفوا خمسة من سكانها وأطلقوا عليهم النار· قال قائد العملية: يجب أن يتم تنفيذ العملية بملابس الجيش لكي يعلم الجميع أنها عملية يهودية· قبل عدة أيام كان سائق قطار يهودي قد قتل بجانب القرية، فجاءت عملية الهاغاناة انتقاماً لمقتله· وكان في ذلك إنذار للمستقبل أيضاً· كانت بلد الشيخ، مثل قرى عربية أخرى، متّهمة بدعم أعضاء العصابات· عرفنا أن قائد العصابة كان من القرية وخططنا لقتله؛ لكن في حال عدم العثور عليه هنالك كان من اللازم قتل ثلاثة أو أربعة رجال بدله·"[121]
بعد مرور عدة أيام على عمليات مشابهة ضد لوبية أرسلت المنظمة السرية من خلال بث راديو سري التحية إلى شبان إسرائيل الذين تجاهلوا أوامر قادتهم واتبعوا مسلك مقاتلي الإيتسل في حربهم ضد العدو العربي، ونفذوا عمليات بلد الشيخ بجانب حيفا ولوبية بجانب طبريا·

لم تعرف قيادة الهاغاناة منفذي تلك العمليات حتى أكتوبر ١٩٣٩، حين أعلنوا في جريدة bahairak أن المنفذين كانوا أعضاء في الهاغاناة دخلوا لوبية وبلد الشيخ من دون موافقة قادتهم·

لقد رغبت المنظمة السرية بأن تظهر من خلال تلك العمليات الروح الجديدة التي أكتنفت منظمتنا وسادت في المناطق اليهودية· إن تلك الروح التي لم تكن ظاهرة في صيف العام

---

[119] دافيد نيف، **معارك الإيتسل، من الدفاع إلى الهجوم** [بالعبرية] الجزء الثاني (تل أبيب: مؤسسة كلاوزنر، ١٩٦٥) ص. ص. ٢٤٥-٢٥١.
[120] انظر أعلاه، ص. ٢٤٥.
[121] انظر أعلاه.

١٩٣٦ أصبحت هي السائدة بعد العام الدموي الثالث، وشكلت ضربة قوية لماكدونالد وورقته البيضاء.[١٢٢]

بعد تقديم احتجاجات عديدة للقائد يوحنان راتنر، عمل بن غوريون على فرض النظام ومنع انتشار القتل العشوائي. كتب بن غوريون في مذكراته: "لقد أُعطيت الأوامر بعدم التعرض للعرب الأبرياء". لكن أولئك الذين شاركوا في قتل العرب لم يتقيّدوا بتلك الأوامر.[١٢٣]

عندما قدمت لناحوم عبّو نسخة عن مقال صحيفة دافار، قال إنه بالرغم من معرفته الواسعة بتاريخ هذا البلد، فإن هذه هي المرة الأولى التي سمع فيها عن هجمات قامت فيها الهاغاناة. وأصر أنه "من المستحيل أن يكون يغال آلون قد أمر بقتل المدنيين كانتقام من هجمات عربية. حتى ولو رأيت ذلك بأمّ عيني، كما يقول المثل العربي."[١٢٤]

ردّ فعل البريطانيين:

مثلما حدث في أرجاء فلسطين المختلفة، اتبعت السلطات البريطانية سلسلة من الإجراءات لإخماد الثورة، منها الاعتقالات الجماعية والحجز ومنع التجول وتدمير البيوت. وقد لحقت تلك الأفعال باللوبيين أيضاً.

ذكر يوسف العيسى أنه كان "ابن ثلاثة عشر عاماً حين سجنني الجيش البريطاني. كنا نقطع أسلاك التلفون، وحين تدخل الكبار لإطلاق سراحي بسبب سني، قال الضابط الانكليزي: الصغار اخطر من الكبار. بقيت في السجن لمدة ثلاثة أشهر، شهرين في جوليا في القسم الشرقي من قرية البصّ وشهر في خضورية، بجانب جبل طابور، لها نفس الاسم مثل المدرسة. كان ذلك في العام ١٩٣٩. أطلقوا سراحنا حين بدأت الحرب العالمية."

---

[122] في أيار/مايو ١٩٣٩ أعلنت الحكومة البريطانية في "ورقة بيضاء" (Cmd. 6018) عن نيتها تحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين بـ ٧٥،٠٠٠ شخص على مدار السنوات الخمس القادمة، وأن تمنع فلسطين استقلالها خلال عشر سنوات. وقد أثارت الوثيقة احتجاجات واسعة النطاق من قبل المنظمات اليهودية في فلسطين وبريطانيا.

[123] **مذكرات بن غوريون**، ٦ حزيران/يونيو ١٩٣٩ – ١٣ حزيران/يونيو ١٩٣٩.

[124] يؤكد كتاب آخر من تأليف أوري بن إليعيزر اضطلاع يغال آلون بشكل مباشر بالهجمات ضد المدنيين. إلا أن ناحوم أصر على أن يغال آلون كان إنسانياً وأنه أراد السلام مع العرب وأنه كان يستضيف أشخاصاً عرب في منزله: "لقد عرفته شخصيا، وأعطاني أوامر بقتل المسئولين عن المشاغبات فقط" قال ناحوم، ثم أراني نسخة عن الأمر كما نشر في كتابه، **الصراع حول طبريا**.

وأضاف يوسف: "كان معه أربعة وعشرون شخصاً مسجونين. جاءت القوات البريطانية إلى القرية وفرضت الحصار عليها بحجة وجود ثوار. قامت طائرة بإسقاط مناشير تعلن منع التجول. أذكر الأسماء التالية: من العجاينة، ياسين عوض، عبد الله العموري، محمد العموري، يوسف، صالح مفضي، صالح حسين، سليم محمد. من العطوات، محمد إبراهيم منصور، عايد العطا، محمود يوسف موسى. من الشناشري، محمود إبراهيم أحمد، حسني عابد رحمن، مصطفى عابد رحمن. من العوايدي، محمد علي وردة. من الشهابية، محمد قاسم." لم يفلح بتذكر أسماء التسعة الباقين.

ذكر أحمد عقلة حادثة واحدة فريدة. "عندما دخل الجيش البريطاني لوبية واعتقل أربعين رجلا من ضمنهم القائد حسن أبو دهيس وفواز علي الشهابية، رد اللوبيون على ذلك بتشكيل قوة محاربة اسمها الكف الأسود. وحدثت عقب ذلك أعمال قتل انتقامية، كمقتل رئيس بلدية طبريا زكي الحديف على يد يوسف حسونة ونايف أبو دهيس، ومقتل رئيس دائرة الأراضي على يد خليل الطبري، ومقتل شرطي عربي متعاون مع العدو على يد سعيد مفضي وعبود فندي."

قال أبو طلعت: "رد الجيش البريطاني بعنف. فرضوا منع تجول من التاسعة مساء حتى التاسعة صباحاً، وكانوا يقطعون الصبار ويضعونه على الأرض ويجبرون المعتقلين أن يمشوا حفاة عليها." وقد ذكرت أمينة علي إسماعيل أمرا مشابها، قالت: "كانت القوات الانكليزية تقتحم القرية وتفرض منع التجول من السادسة مساءً حتى السابعة صباحاً. كان الانكليز يجمعون رجال القرية كلّهم في وادي العين ويبقون عليهم طيلة النهار تحت حرارة الشمس، وكانوا يضعون أوراق الصبار على الأرض ويجبرونهم أن يدوسوا عليها حفاة." وأضافت: "جاء الانكليز إلى قريتنا وحرقوا المحاصيل. كنا نملأ البيت بالمؤن، كالقمح والذرة وزيت الزيتون والفاصوليا، وغيرها. جاءت قوات الانكليز سحبوا الأكياس على الأرض وخلطوا الحبوب المختلفة فقضوا على كل ما خزّناه لموسم الشتاء."

أعقبت أمينة روايتها بتنهيدة عميقة كأنها ترى الحدث أمام عينيها. "جاءت قوّات الانكليز وفرضت منع التجول من السادسة مساء إلى السابعة صباحا. قتلوا سعيد عابد الرحمن وهو على حصانه في طريقه إلى الحقل في الصباح. كانوا هناك مع قواتهم في بيوت أعمامي دامون ومزيد وعيسى محمود. جاءوا إلى بيتنا مع مترجم اسمه أبو إسحاق، فيما اذكر، وسألوا أبي عن شخص قالوا إنه إرهابي دخل البيت. أنكر أبي ومنعهم من الدخول."

وبحسب رواية أحمد عقلة، فإن القوات البريطانية قررت أخيرا في العام ١٩٣٨ "احتلال لوبية وإقامة نقطة شرطة صغيرة في القرية· سعيد عبد الرحمن كان من بين من قتلتهم هذه القوات·" آخرون قالوا إن سعيد عبد الرحمن قتل صباحاً وهو يعدّ للصلاة· لم يرحب القرويون بوجود البريطانيين في لوبية· "ظل اللوبيون يقاومون القوات البريطانية عبر رمي الحجارة وأشياء أخرى عليهم· وهكذا أخلت القوات البريطانية موقعها من داخل القرية وتراجعت إلى مكان يدعى الخربة، جنوب غرب لوبية·"

فقد عدة رجال من لوبية حياتهم ثمن المشاركة في الثورة· قال أبو ماجد: " توفي أحمد محمد بكار من حمولة الشهابية، وكان عضوا في مجموعة عزالدين القسام، في دير الغصون، في الضفة الغربية· جاءت القوات الانكليزية لاعتقاله إثر إخبارية من أحد عناصرهم· ضربوا معلما اسمه محمد السفريني من قضاء طولكرم لامتناعه عن إخبارهم بمكان أحمد· فتشت الشرطة بيوت أحمد ومرزوق عودة لأن أحمد كان يزورهم على الدوام·"

"بعد أن أطلق جنود يهود النار على دواس عثمان تدخل البريطانيون وقتلوا رجلين آخرين هما عارف محمد عبد الرحمن وابراهيم منصور· اجتمع اربعة رجال هم ياسين العموري وابراهيم موسى البكراوي وموسى وذياب الصالح ورسموا خطة للأخذ بالثأر من أحد اليهود· أنا ضد هذه الأعمال· وقد نفذوا مخططهم عبر خداع تاجرين يهوديين بريئين جاءا لشراء السكر منهم· الأربعة ماتوا·"

في حين نجحت القوات البريطانية بإنهاء الثورة مع أواخر العام ١٩٣٩، ظلت تلاحق الفلسطينيين الذين عارضوا بشكل فعال الاحتلال البريطاني لفلسطين· قال أحمد عقلة: "أذكر حين وجدت القوات البريطانية صالح محمد طاه مقتولا بعد ظهر يوم الاثنين ١٤ تموز ١٩٤٤· جلبه البريطانيون من المستشفى في طبريا ودفن في منتصف الليل تحت مراقبة القوات البريطانية· آخرون من مجموعة طاه دافعوا عن أنفسهم فقتلوا وجرحوا ثلاثة بريطانيين ومن ضمنهم ضباط·"

طاه في ذاكرة اللوبيين المسنين هو رمز المقاومة·

All that remains.

Abu Tal'at, Mukhtar of Lubya, in Irbid-Jordan.

Lubyans in Jordan.

Lubyans, gathered in protest against the damage of their grandparent's tombs, accompanied by a representative from the religious ministry in Israel.

Saleh Hussein lost his mind after being subjected to torture by Shajara settlers in 1948.

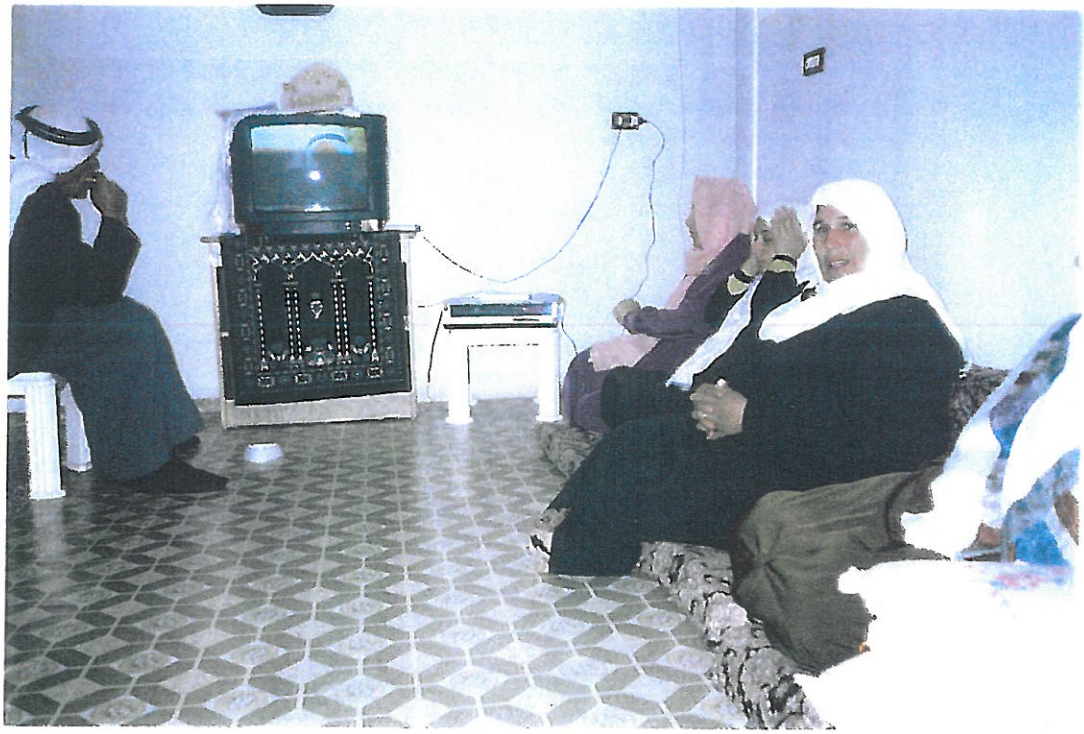

Lubyans in Jordan gather to see the film: "The grandfathers land"(Denmark Radio, 1995).

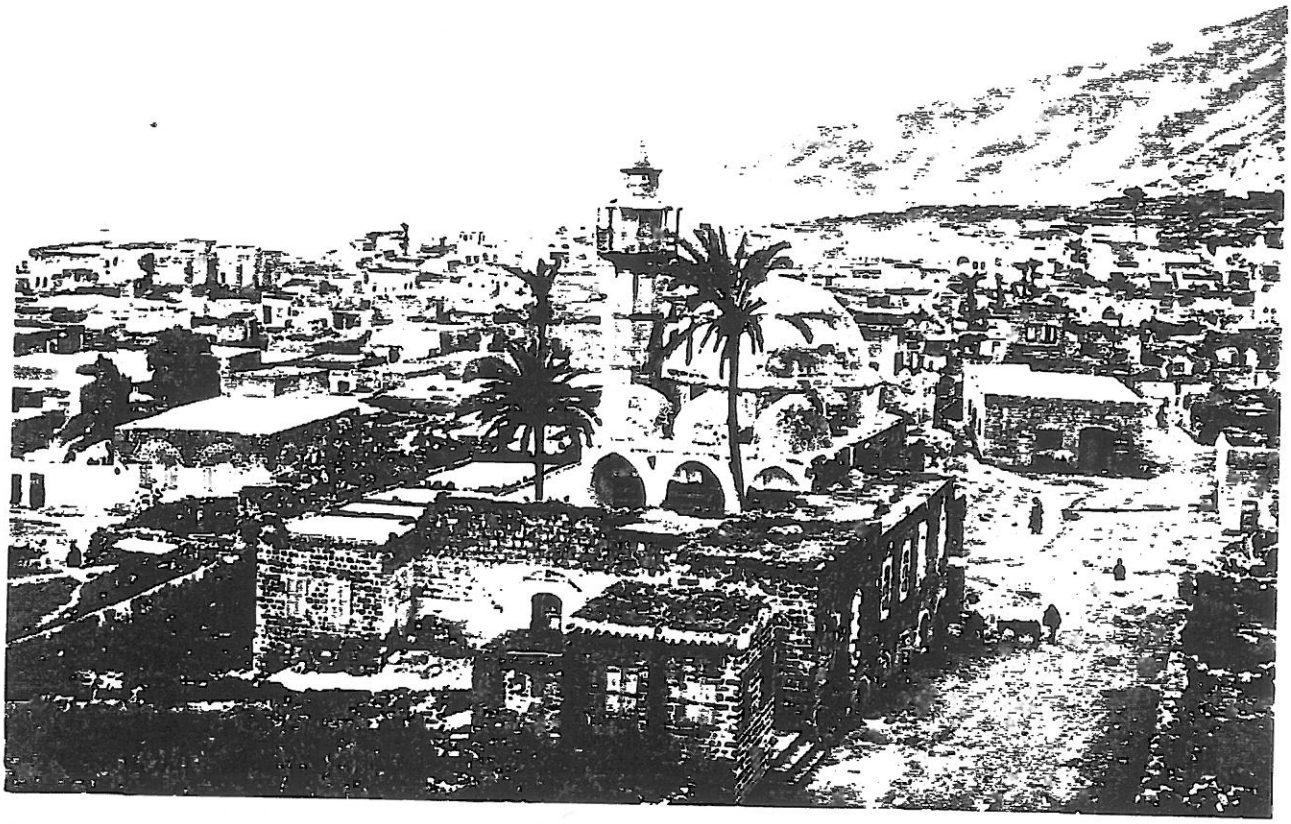

Tiberias in the thirties: Lubyans daily life was dependent on the town.

Girls form Suhmata, in the thirties, holding water jars. (Oxford collection)

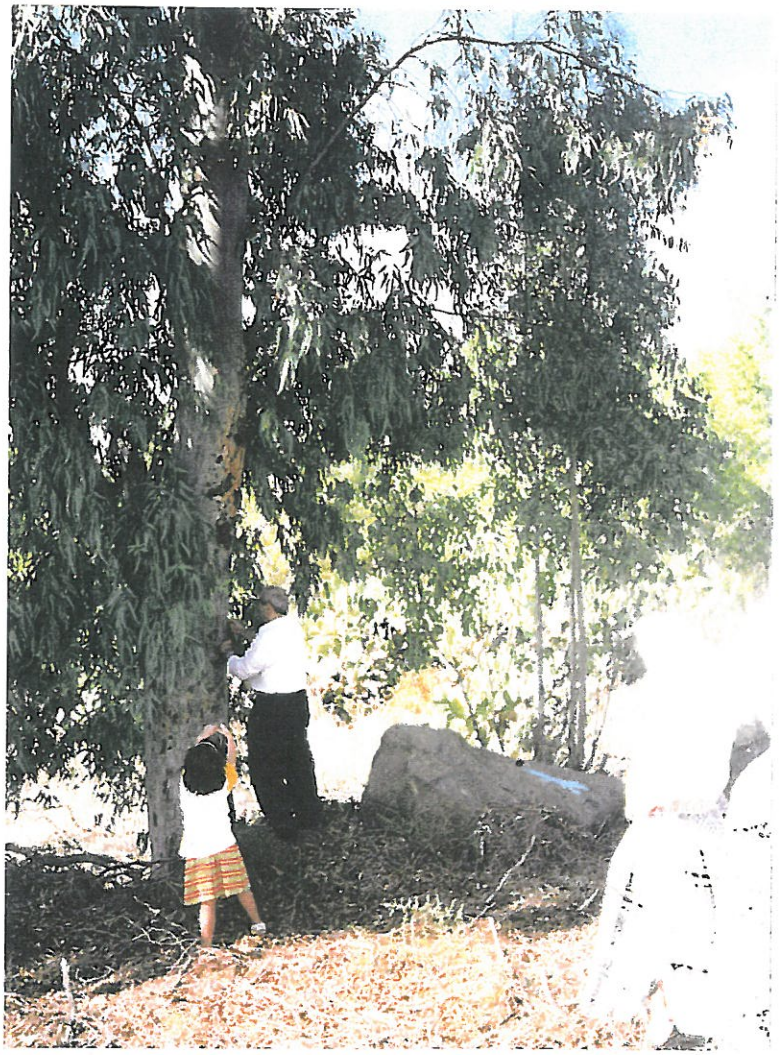

Youssef Issa carving his name on a tree he planted 50 years ago.

"Haji Tamam" & her grandchild in Deir Hanna, holding a newspaper with the title: "Returning to Lubya".

الفصل الثامن

"ما الذي نلناه من بعلبك؟ ألم تكن لوبية تطعمنا ذهباً؟!"

النكبة

"الذاكرة ساحة معركة" (أليستير ثومبسون)

شكل عام النكبة ١٩٤٨ انقطاعاً جذرياً في حياة المجتمع الفلسطيني، إذ أجبر مئات الآلاف من الفلسطينيين على مغادرة بيوتهم واللجوء إلى لبنان وسوريا والأردن وما لم يسقط من فلسطين بيد القوات الإسرائيلية حتى نهاية الحرب (أي الضفة الغربية وقطاع غزة).

غادر اللوبيون مثل جميع اللاجئين تاركين كل شيء وراءهم. معظم الرجال والنساء الذين قابلتهم بدأوا قصصهم بسرد ذكريات ذلك العام ومحاولات القوات اليهودية احتلال القرية، وقد تحدثوا بفخر عن دفاعهم عن لوبية خلال الحرب. فلم تنجح القوات الإسرائيلية باحتلال القرية في تموز/يوليو العام ١٩٤٨ إلا بعد العديد من الانكسارات وتكبد الخسائر.

يتذكر الضباط الإسرائيليين الذين شاركوا باحتلال القرية لوبية كقرية شجاعة. قال أحدهم: "إن أهالي لوبية لم يفروا مثل أهالي باقي القرى. لقد كانوا أشدّاء وخافهم اليهود." مازال قبر دواس عثمان وهو أحد الذين سقطوا دفاعا عن القرية موجودا في مقبرة لوبية كشاهد مادي على هذا التاريخ. ومازال اسمه المحفور على الحجر مقروءاً، بعد أن محت الأعوام الطويلة جميع الأسماء الأخرى باستثناء اسم واحد فقط ظل ماثلا مع اسم دواس عثمان.

مازال المسنون يتذكرون الدروب التي سلكوها إلى المنفى، ويصفون جبالها وسهولها وبلدانها. تبدو هذه الدروب في أحاديثهم أشبه بطريق جهنم، مليئة بالمهانة والجوع والخوف وفقدان الأحباء، مكونة من ليال طويلة قضوها في العراء، عانوا فيها من اعتداءات اللصوص ووقوع بعضهم في السجن. قالت أم عابد: "كنا نسير نحو الشمال

بالآلاف··· ننام في العراء··· المحظوظون منا كانوا يعثرون على شجرة تين أو زيتون ينامون تحتها·"

في مراحل اللجوء الأولى ظل لاجئو لوبية في قرى قريبة من الحدود انتظارا للعودة، لكنهم سرعان ما أجبروا، بعد مضي أسابيع أو أشهر قليلة، على إكمال مسيرهم نحو مناطق أبعد· وسرعان ما حلت عليهم حياة المخيم والرتابة المقيتة للاصطفاف في الطابور· أصبح عليهم الآن أن يصطفوا واحدا تلو الآخر للحصول على ضروريات البقاء، في حين كانوا في القرية يحصلون على هذه الأمور بتعبهم وعرق جبينهم· أصبح الآن يكتنف حياتهم انتظار للعودة دون حدود، لم يدرك إلا قلائل منهم أنه دائم طوال هذا الوقت·

أحداث سابقة للهجوم على لوبية:

لقد وقعت فلسطين قاطبة في حالة ترقب بعد صدور قرار التقسيم عن الأمم المتحدة في التاسع والعشرين من تشرين ثاني/نوفمبر عام ١٩٤٧·[١٢٥] كانت لوبية قد ألحقت على نحو اعتباطي بالدولة اليهودية المقترحة، بينما ألحقت جاراتها من القرى المرتبطة معها بشبكة علاقات كثيفة وقديمة بالدولة العربية· بالطبع لم تتخذ أية خطوات لاستفتاء رأي اللوبيين بمشروع التقسيم وبما سيكون مصيرهم، وقد تجاهل قرار الأمم المتحدة رأي غالبية السكان الأصليين في فلسطين الرافض لمبدأ التقسيم·

كان يوسف عيسى في الثامنة والعشرين من عمره آنذاك· وقد تذكر الأحداث على النحو التالي: "تدهورت الأوضاع العسكرية في عموم فلسطين بعد قرار التقسيم· رفض غالبية الفلسطينيين القرار وبدءوا يعدون لمواجهة متتبعات الأمور· عرف اللوبيون أن قريتهم ستلحق بالدولة اليهودية حسب مخطط التقسيم وبدأ يدافعون عنها بكل ما أتيح لهم من وسائل منذ صدور القرار وحتى سقوط القرية في ٢١ تموز/يوليو ١٩٤٨، أي على مدار ثمانية أشهر·"

---

[125] قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة ١٨١ (ب)، ٢٩ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٤٧. جاء مخطط التقسيم اعتمادا لتقرير الأغلبية الصادر عن لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين (أنيسكوب UNSCOP). **تقرير لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين**، الامم المتحدة، وثيقة أ\٣٦٤، ٣١ آب/أغسطس ١٩٤٧. لقد شملت مساحة الدولة اليهودية المقترحة ٥٦% من مساحة فلسطين، من المقرر أن يعيش فيها ٤٩٨،٠٠٠ يهود و٤٩٧،٠٠٠ عرب فلسطينيين. كان اليهود يملكون أقل من ١٠% من الأرض. بالمقابل، كان عدد سكان الدولة العربية المقترحة ٧٢٥،٠٠٠ عربي فلسطيني و ١٠،٠٠٠ يهودي. أما القدس التي كان من المفترض أن تقع تحت وصاية دولية فكان عدد سكانها ١٠٥،٠٠٠ عرب و١٠٠،٠٠٠ يهود.

جاءت رواية ناحوم عبّو عن الأحداث المؤدية إلى احتلال لوبية مشابهة· عبو هو ضابط إسرائيلي متقاعد من طبرية كان قد شارك في احتلال لوبية· قال: "بعد إقرار مشروع التقسيم في الأمم المتحدة اندلعت أعمال الشغب في المنطقة كلها· كنت ضابطا قبل قيام إسرائيل وقائدا لمجموعة مسلحة في طبرية· طلب مني الذهاب إلى السجرة لتدريب الشبان اليهود، وكانت في ذهني فكرة عمل شيء مع اللوبيين· لم أواجه مشاكل في الانتقال من طبرية إلى السجرة مرورا بلوبية، فأنا أتحدث العربية بطلاقة وكنت أرتدي ملابس عربية· لكني أصبحت فيما بعد أكثر عرضة للانكشاف·"

وكما حدث في الثورة الكبرى، كانت القيادة اليهودية قد أرسلت وفودا إلى القرى الفلسطينية الواقعة في مناطق استراتيجية لإقناع أهاليها بعدم المشاركة في المقاومة أو المواجهات المنتشرة في عموم فلسطين· يذكر اللوبيون عدة وفود يهودية كهذه، شملت يوسف نحماني من طبرية وحاييم لافيكوف من السجرة، وكلاهما كان ناشطا في شراء أراض من لوبيين لحساب مؤسسات الاستيطان الصهيوني·

قالت أمينة علي إسماعيل، التي كانت تبلغ من العمر التاسعة عشر آنذاك: "أرسل اليهود رجلا الى القرية اسمه نحماني مع رسالة تطلب من اللوبيين أن يختاروا العيش سوية مع اليهود في دولة يهودية· رفض شباب القرية هذا الأمر واتهموا المختار حسن أبو دحيس بالعمالة·" وقال إبراهيم شهابي إنّ اليهود أرسلوا ضابطا إنكليزيا لطلب الحياد من لوبية· وأضاف: "قال له والدي إن عليه أن يتحدث مع حسن أبو دحيس فغضب الشباب من الفكرة وخاطبوا والدي خلال الاجتماع متسائلين: هل ملأ الانكليز جيوبك؟" وقد أكد لوبيون آخرون هذه الرواية·

قال أبو طلعت: "أذكر وجود خط تلفون واحد في القرية في بيت مصطفى مفدّي· وفي يوم من الأيام قرع الهاتف· كان يهودي الخط وطلب التكلم مع المختار أبو دحيس· قال له: لا مانع لدينا بأن تنضموا إلى الجيش [العربي] فنحن سننظم إلى الجيش أيضاً، لكن دعنا لا نهاجم بعضنا البعض في هذه المنطقة· بعض الرجال اتهموا المختار بأنه خارجي لقبوله المكالمة الهاتفية·"

مازال أشخاص من عائلة أبو دحيس يعتقدون أنه كان بإمكان عمّهم مصطفى إنقاذ القرية من الدمار بسبب علاقاته باليهود. قال أحمد أبو دحيس[١٢٦]: "كان حاييم لافيكوف من السجرة مسئولا عن الأقليات في الجيش اليهودي، وقد أرسل إلى اللوبيين يقترح عليهم البقاء في لوبية. إلا أن بعض الزعران أفسدوا كل شيء." قال أبو طلعت: "كاد الزعران يقتلون الرجل أثناء مغادرته البيت. وتوسل إليهم الأهالي كي لا يمسوه بسوء. قالوا: دعونا نعيش بسلام ونتجنب المشاكل، لكن الزعران اتهموا أبو دحيس بالخيانة. ولم يتفوه قادة الثورة بكلمة خوفا من أن تلحقهم نفس التهمة."

لم تتردد أم عصام، والدة أحمد، في إخباري بأسماء من اعتقدت أنهم مسئولين عن الصدام مع اليهود. قال: "إن الذين قاموا بكل المشاكل هم محمد عبد الرحمن، أبو ناصر ونبوه من العطوات." إلاّ أن يوسف اليوسف ولوبيون آخرون اعتبروا هؤلاء الأشخاص ثوّارا شجعان. مازال كلا هذان الرأيان عن أحداث العام ١٩٤٨ والهدنة التي اقترحها اليهود، موجودا بين اللوبيين إلى يومنا هذا.

من المعروف أن القليل من القرى الفلسطينية التي عقدت مثل هذه الهدنة نجت من تعرض القوات اليهودية لها، مثل دير ياسين التي شهدت مجزرة في نيسان/أبريل ١٩٤٨ راح ضحيتها مئات من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ رغم الهدنة مع الجهات اليهودية المسئولة في القدس.[١٢٧]

عندما ذكرت المجزرة لعزرا لافي أتّهم الايتسل. قال: "لم يصدر الأمر بارتكاب هذه المجزرة عن بن غوريون، بل عن الإيتسل. رجال الايتسل تسببوا بالكثير من المشاكل. قتلوا وطردوا عرباً من حيفا ونشطوا ضد الانكليز." وأضافت زوجة عزرا، إستير: "لم يكن [قائد الايتسل] مناحم بيغن شخصياً [من أصدر الأمر]. كانت الإيتسل ضد الهاغاناة. كانوا كالليكود والعمل اليوم. ارتكبت الإيتسل المجزرة من دون أوامر من بيغن. كانوا مقاتلين أسوأ من الهاغاناة."

---

[126] أجريت المقابلة مع أحمد أبو دحيس في الناصرة بتاريخ ٥٢ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥.

[127] مجزرة دير ياسين هي الأسوأ في سلسلة المجازر المتكررة ضد المدنيين الفلسطينيين خلال فترة المواجهات العسكرية في فلسطين بين ١٩٤٧-١٩٤٩. نفذت المجزرة من قبل قوات الايتسل والليحي بمعرفة مسبقة من الهاغاناة وأصبحت رمزاً لنوايا الحركة الصهيونية ومصير الفلسطينيين. لمزيد من المعلومات أنظر وليد الخالدي، دير ياسين: الجمعة، ٩ نيسان/أبريل ١٩٤٨. القدس: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٩. أنظر أيضا: www.deiryassin.org

وقد روى هشام ابن أبو عصام عن والده حادثة أخرى جرت في قرية عيلوط حيث مكث أبو عصام إلى أن دخلت القوات اليهودية واحتلت القرية. قال: "كانت القوات اليهودية تقوم بقتل عدد من الشبان في كل قرية تدخلها. اختاروا في عيلوط ٤٢ شاباً ورموهم بالرصاص. لم يقاتل الأهالي في عيلوط لكنهم عوقبوا على أي حال."[١٢٨]

سألت ناحوم عبّو عن مجزرة أخرى حدثت في عيلبون حدثت بعد أن توصل الطرفان لاتفاقية تسليم. قال: "أعرف تلك الحادثة جيداً. لقد أسر القرويون أربعة جنود وقطعوا رؤوسهم ثم لعبوا فيها كرة قدم. عندما دخلت قواتنا إلى عيلبون احتجزت ثلاثين أو أربعين رجلاً من القرية وطلبت من شخص مقنع من الأهالي أن يتعرف على الذين شاركوا في قتل الجنود. كان جندي يضع يده على كتف كل رجل ويسأل الرجل المقنع إن كان مذنباً أم لا. اختاروا اثني عشر رجلا من القرية وقتلوهم."

وقد لاقت قرى أخرى معاملات شديدة القسوة بسبب اشتهارها بعلاقات قوية مع لوبية. تحدث عجاج سعد عودة من طرعان عن الأيام التي تلت سقوط الناصرة ولوبية والمشاورات حول التسليم أو عدم التسليم لليهود. قال: "عندما سقطت لوبية وصفورية دعا عمي وجهاء القرية إلى اجتماع، ووافق المندوبون المسيحيون من القرية على اقتراح عمي بإرسال رسالة استسلام للقوات اليهودية. أخذ الخوري الرسالة وسلمها إلى الخوري في كفر كنا وهذا نقلها إلى الضابط الإسرائيلي عاموس. قال عاموس لعمي إنه كان ينتظر من طرعان ارتكاب أدنى خطأ لكي يدمّرها كليّة لأنها مقربة من لوبية ومن جيش الإنقاذ."

"جاء عاموس مرة إلى القرية وطلب إخراج جميع الرجال، انتقى منهم سبعين أو ثلاثة وسبعين رجلاً من العائلات المختلفة وزج بهم في السجن في مخيم تلفينسكي على الساحل (بجانب ضريح سيدنا علي). لم نعرف شيئا عن مصيرهم حتى أطلق سراحهم بعد ثمانية أو تسعة أيام. جلسوا خمسين في نفس الغرفة. عندما سألهم عاموس عن أسماء الذين وقّعوا على أوراق الاستسلام واكتشف أن عشرة منهم لم يكونوا حاضرين أمر بهدم منازلهم."

---

[128] أنظر: محمد أمين بشار، **عيلوط عبر التاريخ**. الناصرة: مكتب النورس للإنماء التربوي، ٢٠٠٢.

كان أهل طرعان محظوظين لعدم إطلاق النار على أحد منهم مثلما حدث في دير ياسين وعيلبون و الطنطورة وبلد الشيخ والحسينية والدوايمة.[١٢٩] قال لي عجاج عودة إن قادة الثورة أرسلوا إلى عمه يسألون عن سبب تسليمه، ولاحقا التقى بوصفي التل[١٣٠] وأعتذر الأخير منه قائلا إن قراره بالتسليم كان عملا حكيما، ووجه اللوم إلى أهل حطين لأنهم خرجوا مع أهالي لوبية.

لا يوافق الجميع على هذا الرأي، إذ يعتقد فريق آخر من اللوبيين أن المحاولات اليهودية لإبقاء لوبية خارج نطاق الصراع كانت جزءا من حساباتهم العسكرية. قال يوسف العيسي: "عرف اليهود أنهم إذا نجحوا باستمالة لوبية إلى جانبهم ستسلم جميع القرى المجاورة: طرعان وحطين وعيلبون ونمرين والشجرة." كانت لوبية تقع في مكان استراتيجي يطل على الطريق بين المستوطنات اليهودية وطبرية، وكانت بالتالي قادرة على عزل المستوطنات عن بعضها البعض وعن طبرية.

كان عزرا لافين الرجل الذي أعهدت إليه الهاغاناة احتلال لوبية في العام ١٩٤٨. كان للقائي معه صدى خاصاً عند اللوبيين، فقد كانت هذه أول مرة يسمعون فيها شهادة مباشرة من الرجل الذي فشل مرارا في اقتحام لوبية لشدة مقاومتها. عندما أخبرت صبحية محسن جودي بعزمي على الالتقاء مع لافين تعجبت وسألتني: "ألا تخاف؟" كان أبو وجدي، صديق لي من قرية المغار قد قدمني إلى الضابط المتقاعد.

أجريت المقابلة مساء في بيت عزرا بطبرية. تحدث عزرا بمزيج من العربية والعبرية، وتحدثت زوجته إستير بالعربية والعبرية والانكليزية. كان صديقي أبو وجدي يقوم بين الحين والآخر بترجمة حديث الزوجين حين لا ينجحون بالتعبير عن نفسهم بالعربية. وكانت الزوجة تقاطع زوجها لتوضيح نقطة والتوسع بأخرى، أو لتقديم انطباعاتها الخاصة عن الحرب.

بدأ عزرا روايته بالحديث عن العلاقات الطيبة التي سادت بين العرب واليهود في طبرية قبل أحداث العام ١٩٤٨. قال: "عندما قام العرب بإغلاق الطرق المؤدية إلى صفد والغور لم نستطع دخول المدينة إلا من جهة البحيرة. بدأ المفتي يفقد سيطرته على رجاله وبدأ

---

[129] أنظر قائمة بالمجازر التي تم الإخبار عنها، قائمة رقم ٥، في سلمان أبو ستة، مصدر سابق الذكر، ص. ١٦. أنظر موريس، مصدر سابق الذكر، لتفاصيل عن هذه المجازر اعتمادا على وثائق أرشيفية صهيونية وحكومية.

[130] أصبح وصفي التل فيما بعد رئيسا للوزراء في الأردن.

اليهود بالاستياء والقلق· تسلمت أوامر بدخول المدينة لكي يرى اليهود أن الأوضاع ليست بتلك الدرجة من السوء كما ظنوا· أدركت أن الأوضاع أخذة بالتدهور، كنا نشعر خلال النهار أن الأمور عادية وينتابنا الخوف ليلاً·"

"بعد أسبوع تسلمت أمرا بالانتقال من طبرية لتدريب الجيش على تنظيم فرق المداهمة· بعد ذلك أصبحت ضابطا نظاميا وعدت إلى طبرية· كان في منزل الرابي رانو ثلاثون جندياً· اتخذ الجيش العربي مقرا له في الفندق، وسيطر على منزل سليمان ومحفوظ نصر الدين· كان اللوبيون قد قطعوا الطرق المجاورة لهم، فلم يعد بالإمكان السفر إلى العفولة أو حيفا· كان علي أن استخدام الحيلة لكي أفلح في دخول طبرية· طلبت من اليهود أن يطلقوا النار بكثافة على العرب لحمايتنا أثناء دخولنا إلى المدينة·"

تحدث ناحوم عبّو عن الصدامات المتزايدة بين المجتمعين· قال: "قامت مجموعة من الرجال بإيقافي في إحدى الليالي على حاجز· كانوا من الغرباء، لكن أحد الرجال المحليين عرفني بالاسم، فقام جميل قائد حزب النجدة بمرافقتي إلى خارج المدينة· هكذا تسنّى لي إنذار قادتي بأن الغرباء في طبرية أصبحوا أكثر من المحليين·"

سبق الهجوم الأول على لوبية في ربيع عام ١٩٤٨ هجمات واضطرابات في طبرية· قال عزرا: "سمعت من أصدقاء عرب أن هجوما ما سيقع على المدينة، وأنه طُلب منهم [أي العرب] أن يغادروا المدينة لكي لا يلحق بهم أذى· تلقوا أوامر بأن لا يأخذوا معهم أي شيء· عندما دخلنا البيوت العربية كانت النار مشتعلة تحت أواني الطبخ·" وأضاف ناحوم: "انضمت مجموعة من لوبية للقتال· كانت مكونة من ثلاثين أو أربعين رجلا· قتل العرب ثلاثة يهود مسنين وقتل منهم أربعة وجرح ستة عشر· نحن دفنا موتانا في حطين، وهم دفنوا موتاهم في المجدل·"

وأضاف عزرا: "عندما انتهت المعركة طلبت من العرب البقاء في طبرية، لكنهم رفضوا· كانوا قد تلقوا الأوامر من الخارج بأن يخرجوا من البلد· كانوا يظنون أن الجيوش السورية والأردنية والمصرية سترمي اليهود بالبحر ومن ثم ستعيد لهم بيوتهم وبيوت اليهود فوقها·"

من الجدير بالذكر أن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة استخدمت هذا الإدعاء، بأن العرب تلقوا أوامر بالرحيل من الجيوش العربية، لتبرير عملية التهجير واسعة النطاق التي نفذتها

القوات اليهودية بين الأعوام ١٩٤٧ و ١٩٤٩. إلا أنّ الأبحاث الأكاديمية قد أثبتت عدم صحة هذا الإدّعاء.[١٣١]

الهجمات على لوبية:

أختار الكثير من المسنين اللوبيين التركيز في المقابلات التي أجريتها معهم على تفاصيل الهجمات ضد لوبية وعن نشاطهم في الدفاع عنها. تنوعت الروايات بحسب موقع الراوي في القرية أو حولها إبان الأحداث، ونقلت جميعها مشاعر الخسارة الأليمة ومرارة الانكسار أمام القوات اليهودية، لكنها تبدت كذلك عن حس مؤكد بالفخر والاعتزاز بدفاع المرء عن بلده.

كانت المقاومة في لوبية تفتقد للقيادة المركزية، أما قوات اليشوف العسكرية فكانت بالمقابل حسنة التدريب والتنظيم، فقد خدم الكثير من الضباط والجنود اليهود في صفوف القوات البريطانية إبان الحرب العالمية الثانية مما أكسبهم خبرة عسكرية مهمة.

حدثت أولى المواجهات عندما أرسلت القيادة اليهودية قوة لفتح الطريق المحاذي للوبية والذي كان قد وقع تحت سيطرة رجالها. كان ذلك في شباط/فبراير ١٩٤٨، بعد أشهر قليلة على صدور قرار التقسيم. ناحوم عبّو كان قائد الفرقة المرسلة لإتمام تلك المهمة. قال: "لقد عرف الجميع أن الطريق من الشجرة إلى طبرية سيبقى مقطوعا ما دامت لوبية تقاوم. كان مع اللوبيين مدفع رشاش يمكنه إصابة أي حركة في الشارع. كان تحت قيادتي ثمانون رجلاً. أرسلت مجموعة إلى لوبية لفتح الطريق. أطلق اللوبيون النار عليهم. قتلوا واحداً وجرحوا اثنين. ظننت أن اللوبيين مجانين لأنهم كانوا يقاومون وهم محاصرين من جميع الجهات." أكد العديد من اللوبيين الذين قابلتهم على تفاصيل هذا الهجوم وردود الفعل عليه.

أما أول هجوم مباشر للقوات الصهيونية على لوبية فقد وقع في الشهر التالي، في ٢٤ آذار/مارس ١٩٤٨ على وجه التحديد. قال ناحوم: "كانت الخطة أن تقصف الطائرة لوبية بالقنابل قبل أن تدخل قواتنا إليها، لكن الخطة فشلت". قال يوسف عيسى إن ستة من

---

[131] يقدر بأن ٢٥% من اللاجئين طردوا مباشرة من قبل القوات اليهودية؛ و٥٤% خرجوا بسبب هجوم عسكري؛ و٢% خرجوا بتأثير الحرب النفسية؛ و٨% بتأثير الخوف من هجمات اليهود؛ و١٠% بتأثير سقوط بلدان مجاورة لهم؛ و١% نتيجة أوامر من القادة العرب. أنظر: أبو ستة، مصدر سابق الذكر، وموريس، مصدر سابق الذكر.

اللوبيين كانوا قد سقطوا في هذا الهجوم ودمرت مركبات القوات المهاجمة وسقط منهم سبعة.

ووقعت المعركة الثانية في ١٠-١١ حزيران/يونيو ١٩٤٨ ليلة إعلان الهدنة، وتكبل المهاجمون فيها بالفشل للمرة الثانية. حسب شهادة عزرا: "أغلق اللوبيون الطرق وبدءوا يطلقون النار على السجرة من بيوتهم. في البداية حاولنا فتح الطريق إلى مسكنة (يطلق عليها اليوم تسوميت غولاني). جاء رجالنا من طبرية ومعهم أخي أيزاك. كانوا يسدون حفر الألغام في الطريق بأكياس معبأة بالرمل حملوها معهم."

وتابع حديثه قائلاً: "أما اللوبيون فلم يهربوا مثل باقي القرى. كانوا أشداء وكان اليهود يخافون منهم. وقع أخي في كمين أعده اللوبيون، قتل بالرصاص واحترقت جثته داخل السيارة. بعد هذا الحادث اتُخذ القرار بوجوب احتلال لوبية، وقاد الهجوم حاييم لافيكوف من السجرة، لكنه فشل. كانت القرية تقع على ثلاثة تلال وكان اللوبيون مقاتلين أشداء."

كان ناصر محمد عطواني[١٣٢] أحد الذين شاركوا في الدفاع عن القرية، وهو يعيش اليوم في حلب. بعد خروجه من فلسطين شرع ناصر بالتعليم الذاتي وتقدم في الدرجات العلمية حتى حصل على الدكتوراة في الأدب الإنكليزي وأصبح محاضراً في جامعة حلب. بعد تقاعده مازال ناصر ينشر المقالات عن لوبية في الصحف السورية والخليجية. في مقابلتي معه بدأ يسرد قصة الحرب بمعركة ١٠ حزيران/يونيو ١٩٤٨، التي مازال يتذكر تفاصيلها كأنها ماثلة أمام عينيه.

قال: "دامت المعركة عشرة ساعات استطعنا خلالها أن نصد الهجوم ونلحق بهم الهزيمة. بعد ذلك ذهبت مع عدة أشخاص من لوبية إلى الناصرة حيث كان فوزي القاوقجي [قائد جيش الانقاذ] وأبو إبراهيم وأبو عارف، لنطلب تزويد القرية بالذخيرة. كانت لوبية في ذلك الوقت تناصر الحاج أمين الحسيني." كان الكثير من اللوبيين في الثلاثينات يناصرون القسام، وبعد قمع البريطانيين للثورة انتقل الدعم إلى الحاج أمين، لكن ظل في القرية فريق معارض لسياسة الحاج أمين. كان الدعم الذي تلقاه الحاج جليا بشكل خاص بين زعماء القرية.

---

[132] ناصر محمد عطواني من مواليد عام ١٩٢٦. أجريت المقابلة بتاريخ ١٦ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٩٨، في حلب، بسوريا.

شارك أبو بسام في صد القوة اليهودية التي هاجمت القرية وكان آنذاك في التاسعة عشر من عمره. وفيما بعد انضم كان من أوائل المقاتلين الذين التحقوا بصفوف الثورة الفلسطينية، وعاش مراحلها العديدة منذ البدايات في الأردن إلى عرقوب في جنوب لبنان. أبو بسام متقاعد الآن في مخيم حمص للاجئين في سوريا.

قاتل أبو خليل إلى جانب أبو بسام، وسقط لهما ابن عم اسمه عارف عبد الرحمن. قال: "كنا خمسة وقررنا أن لا نفتح النار على المصفحة اليهودية التي مرت أمامنا لأن ذلك لا ينفع بشيء. انتظرنا قدوم شاحنة وفتحنا النار. ذهبت إلى المنزل وهددت أختي بالسكين كي تخبرني بمكان المسدس الذي خبأته أمي. في البداية رفضت أن تلبي غرضي لكني أثرت حميتها حين أخبرتها بمقتل ابن عمنا، فأعطتني المسدس. بعد انتهاء صوت اطلاق النار ذهب دواس لتعداد القتلى في صفوف العدو فسمعنا صوت طلقة أصابته وأودت بحياته. أثار هذا الإشتباك اشتباكا آخر شديد شاركت فيه القوات البريطانية وجميع مقاتلي القرية. كانت العائلات تتنافس فيما بينها في إظهار الشجاعة والبأس، لكن حجم المعركة فاق قدراتهم."

مازال قبر دواس عثمان موجودا في مقبرة لوبية وأسمه محفورا على حجره، وهو أحد أسمين فقط ما زالا مقروئين بسبب الإهمال الذي لحق بالقبور أثناء غياب اللوبيين الطويل عن بلدهم.

لقد امتازت لوبية وبعض القرى المجاورة مثل نصر الدين وصفورية بروح قتال عالية. وكانت القرى العديدة تفزع وتعين بعضها البعض. ذكر نايف حسن في هذا الصدد قصة تكشف عن استعداده للمجازفة بحياته وبتعريض نفسه للعقاب الشديد من أجل تقديم المساعدة لقرية نصر الدين. قال: "كنت أخدم في البوليس. جئت مرة إلى لوبية بسيارتي العسكرية من نوع دودج ورأيت مجموعة من الرجال في مدخل البلد يخططون للذهاب إلى قرية نصر الدين المجاورة لكي يؤازروا أهلها في صد حصار اليهود لها."

"ركب أكثر من عشرين رجلا السيارة واتجهت بهم إلى مقر الشرطة في طبرية لكي نجلب المزيد من السيارات العسكرية. قال الضابط إنه علي الانتظار ساعتين حتى تصل السيارات. لم أخبره بأن معي مجموعة من الرجال المسلحين، لكني لم أنتظر وقدت السيارة عبر النقاط العسكرية اليهودية ملوّحا بيدي كأني واحد منهم. أوصلت المجموعة إلى نصر الدين وعدت إلى مقر الشرطة."

و قدم اللوبيون كذلك المساعدة لقرية صفورية· قال نايف: "بعد شهر على معركة لوبية هاجم اليهود الناصرة وصفورية، فذهبت مع ناصر عطواني وآخرون لمؤازرتهم لكنهم وصلوا متأخرين· عندما وصلنا إلى منطقة الخانوك بين الرينة والناصرة، كان جيش الإنقاذ قد تراجع إلى إكسال· عدنا إلى لوبية وتلقينا رسالة من القاوقجي تقول إن اليهود يخططون لهجوم انتقامي ضد القرية وينوون اقتراف مجزرة في لوبية، فقرر المسنون إرسال النساء والأطفال إلى خارج القرية·"

قال أبو علي عزام[١٣٣] مؤكدا على هذا الرواية: "طلبت صفورية مساعدة لوبية فأرسلت إليها قوة في الحال لكن صفورية سقطت قبل وصول القوة·" كان أبو علي عضوا في اللجنة الشعبية في مخيم بعلبك للاجئين وهو يعيش اليوم مع عائلته في آرهوس بالدنمرك· وأضاف: "أقلق هذا الأمر اللوبيين كثيراً واستشعروا بأن دورهم قد حان· كان سامي عيسى مع الذين فزعوا لصفورية· قال لي بعد أن رجعوا: أذهب يا أحمد وقل لأبيك أن يغادر إلى شعب!"

كان فياض عباس في الثلاثين من عمره في العام ١٩٤٨، وشارك هو أيضا في الدفاع عن القرية· رفض التحدث بإسهاب لكي لا يوقظ ذكرياته المؤلمة· كان فياض قد فقد لاحقاً خمسة أولاد في الثورة، ويؤكد أن لا مكان على هذه الأرض يمكن أن يعوضه عن خسارة لوبية·

في حديثه المختصر قال: "كنت جنديا في الجيش البريطاني بين الأعوام ١٩٤٦ و ١٩٤٨ إلى أن غادر البريطانيون وبدأ اليهود بالهجوم علينا· كانت لوبية آخر بلد يسقط في المنطقة كلها· طبرية ويافا وصفورية وجميع القرى سقطت قبل لوبية· أذكر كيف ركبنا الباص واتجهنا إلى صفورية بعد سماعنا لخبر الحصار المفروض عليها· لكننا عندما وصلنا كانت قد سقطت، فعدنا أدراجنا·"

شارك الجميع، رجالا ونساء وأطفالا، في الدفاع عن القرية· قال أبو خليل: "كانت النساء تنقل المياه وترافق الرجال بالأهازيج· وكان الأطفال يجمعون الرصاص الفارغ·" قالت أمينة إسماعيل: "كنا نشعر بالفرح حين نقدم المساعدة للثوار· كان زوجي أبو أحمد يقول

---

[133] أبو علي عزام من مواليد عام ١٩٣٦. أجريت المقابلة معه بتاريخ ٢ كانون ثاني/يناير ١٩٩٥، بالدنمرك.

لي: خذي الماء والطعام للثوار. قدمنا المساعدة لجيراننا في الشجرة لكن جيش الإنقاذ أعلن الهدنة ولم يستطع الدفاع عن القرية حين عاد اليهود لاحتلالها. ركز جيش الإنقاذ جهوده في معركة العفولة. بعد ثلاثة أيام طلبوا منا مغادرة القرية وقدم أبو دهيس سياراته لأجل ذلك."

طلب المساعدة

أرسل اللوبيون وفودا إلى الحكومات العربية المجاورة طلبا للعون كما فعلوا في ثورة الثلاثينات. قال عصام: "ذهب وفد من لوبية وبلدان أخرى لمقابلة الملك عبد الله في الأردن في العام ١٩٤٨، ولم يستفيدوا. أعتقد بأن مؤامرة كانت مدبرة لإعطاء البلد لليهود."

قال إبراهيم الشهابي: "أذكر أن سعيد شامي الشركسي كان قد جاء إلى مضافة والدي وطلب منه النصيحة. قال له والدي: أنت لا تزال زعيما على رجالك، أما أنا فلا أستطيع أن أقنع أخوتي بشيء. اذهب للملك عبد الله واطلب سماع نصيحته، فهو قائد الجيش العربي. قال له الملك بأن يبقوا هادئين ويحكموا عقولهم، وأن يدافعوا عن أنفسهم ولا يخرجوا من بلدهم إذا هاجمهم اليهود، لأن هؤلاء يريدون الأرض دون سكان."

قال أبو بسام: "إثنان فقط التقيا بالملك عبد الله هما حسن أبو دهيس وكامل الطبري. لا أعرف إن رافق الوفد آخرون من طبرية. طلبوا المعونة لطبرية ولوبية. قال لهم الملك أن ينتظروا حتى الخامس عشر من أيار، موعد مجيء القوات العربية."

طُلبت المساعدة من دمشق كذلك. قال إبراهيم الشهابي: "ذهب والدي لطلب السلاح من جميل مردم، وزير الدفاع السوري آنذاك. ضرب جميل بك بكف يده على الطاولة وغاضبا وصاح: يا طاولة أعطيه سلاح! من أين أجلب لك السلاح؟! طلب منه والدي أن يرسل ضابطا حسن التدريب على الأقل ليساعد أهل القرية، لكن الوزير رفض ذلك أيضا."

ذهب أبو بسام مع وفد لمقابلة أديب الشيشكلي، الذي أصبح فيما بعد رئيسا للجمهورية في سوريا، وروى عن ذلك: "كنا أربعة: مصطفى أبو دهيس، عمي حسن أبو دهيس، محمود الحميدي، وأنا. طلبنا من أديب أن يعطينا الرصاص فقط، لم نطلب السلاح أو الرجال،

وكان جوابه رفضا قاطعا. قال إنه متمركز في قرية صفصف قرب صفد وإنه يستطيع أن يكون في لوبية بغضون ساعتين وقت الحاجة."

"وعندما بدأت المعركة الكبيرة ذهب مصطفى إلى المغار ليقابل عبد العايدي وأديب الشيشكلي. قال مصطفى للشيشكلي: وعدتنا بأن تكون في لوبية بغضون ساعين حين نحتاجك، نحن نحارب منذ ثلاثة أيام فلماذا لم تأت؟! نحن الآن نمنعك من دخول لوبية! فتحداه الشيشكلي بأن يجرؤ على منعه، فكان رد مصطفى أن صفعه على وجهه."

وروى أبو خليل نفس القصة كما سمعها من امرأة كانت شاهدة على ما حدث: "قالت أم محمد (فاطمة حليحل) إن مصطفى ألتقط مسدسه وأراد أن يطلق النار على الشيشكلي لكن أكرم حوراني [الذي أصبح فيما بعد مسئولا رفيع المستوى في حزب البعث] وقف بين الرجلين ومنع تدهور الأمور." عندما أصبح الشيشكلي رئيسا لسوريا في أوائل الخمسينات زجّ بمصطفى أبو دهيس بالسجن.[١٣٤]

المعركة الأخيرة

دخلت القوات اليهودية إلى لوبية بعد ثلاثة أيام من القصف المتواصل بين ١٨ و ٢١ تموز/يوليو ١٩٤٨، تم أثنائها تهجير اللوبيين من بلدهم. كان ذلك اليوم هو التاسع من شهر رمضان، وكانت البلدان والقرى المجاورة كلها قد سقطت، بما فيها الناصرة وطبرية وصفورية.

قال أحمد عقلة: "سقطت الناصرة وصفورية في المعركة الثانية بتاريخ ١٥ تموز/يوليو ١٩٤٨ وانسحبت القوات العربية من المنطقة كلها، فتقدمت القوات المهاجمة نحو لوبية وبدأت تقصفها بشدة. بقينا في القرية من دون ذخيرة وكانت موازين القوى كلها ضدنا، فاضطررنا على الخروج. حين دخل العدو إلى القرية لم يكن فيها غير المسنين ليقتلوهم."

---

[134] أضاف أبو خليل: "في آخر يوم من شهر رمضان طلبنا من ضابطين هما القدسي وعمر بك أرناؤوط التدخل لإطلاق سراح مصطفى، فأخبرهم الشيشكلي بالإهانة التي كان قد تلقاها منه. فقالوا له: أنت الآن رئيس وهو لاجيء. بعد شهرين أطلق الشيشكلي سراحه بشرط أن يغادر سوريا ولا يعود إليها ثانية، فاتجه مصطفى إلى لبنان ومن ثم إلى الأردن. في لبنان التقى بفوزي القاوقجي وطلب منه أن يعرفه على أمير الكويت جابر الصباح الذي كان مصطافا في عاليه. وعده الأمير بمساعدته على إيجاد عمل في الكويت فذهب مصطفى إلى هناك لكن البلد لم يعجبه. في العام ١٩٦٩-١٩٧٠ قرر مصطفى الذهاب إلى إسرائيل، ومن ثم سافر إلى كندا، وحصل هناك على مواطنة. بقي مصطفى في كندا حتى مات فيها في العام ١٩٩٤."

وقال هاشم: "بعد أن سقطت البلدان واحدة تلو الأخرى، طلب جيش الإنقاذ من الأهالي أن يغادروا لمدة أسبوعين فقط." وقال نايف عباس، أحد اللوبيين الذين ذهبوا لمؤازرة صفورية: "لما عدنا من صفورية رأينا بعض الأهالي من طرعان وكفر كنا والمشهد والرينة يغادرون قراهم. بعدها بدأت المعركة في لوبية."

وقال ناحوم: "اتصلت القوات اليهودية باللوبيين عبر اللاسلكي من طبرية وطلبت منهم التسليم لكنهم رفضوا واستمروا في القتال. بدأت أرى الناس يخرجون من لوبية باتجاه نمرين (في الجوار) وتلقينا أوامر بأن لا نوقف الخروج وإلاّ كانت المعركة أشد."

قال فياض: "كان الوقت رمضان وكنا صائمين. حاولوا احتلال البلد عبر مهاجمتها من جهتي الشمال والجنوب في نفس الوقت. نجحنا في الاستيلاء على القافلة القادمة من طبرية، وظننا أن المعركة قد انتهت، فأخبرنا مفضي محمد بأن اليهود يحاولون اقتحام القرية من الجنوب، فغيرنا مواقعنا وبدأنا ندافع عن القرية من تلك الجهة."

وروى يوسف عيسى ذكريات مشابهة عن تلك المعركة من موقعه على الطرف الآخر من القرية. قال: "بدأت المعركة في الساعة الثانية صباحا في أول يوم من رمضان وكنا مستعدين. كان الدفاع المدني يحيط بالقرية من جميع الجهات. توقعنا أن يأتي الهجوم من جهة الجنوب، جهة السجرة، لكنهم هاجمونا من الشرق، من جهة طبرية."

"وصلت في البداية ثلاث سيارات لاندروفر وعربة من جهة طبرية-بوريا إلا أن العجاينة المرابطين على جبلة العوني في الجهة الشرقية دمروها. انتظروا حتى وصلت القافلة إلى نقطة السعد، غربي بيارة الخان، فدمروها وقتلوا السائق. أحد المهاجمين اليهود رمى قنبلة يدوية، لكن محمد الدواس الذي كان مدربا في شرطة الحدود التقطها ورماها بالاتجاه المعاكس. كانت إحدى شاحناتهم معبأة بالرمل."

Comment [MF37]: تاكد

"في الساعة العاشرة مساءً، في حين كان المدافعون منهمكين على الجبهة الشرقية، جاء مفضي محمد من السمااللوت على ظهر حصانه ليخبرنا بالهجوم على القرية من جهة الشمال، فأسرع المقاتلون الموزعين في مواقع مختلفة في القرية إلى تلك الجهة. انضم البعض إلى المدافعين وطوّق آخرون المهاجمين من جهة كفر سبت والسجرة."

وروى أبو خليل أمرا مشابها· قال: "كنت أقف بجانب مصطفى أبو دهيس، ابن الزعيم أبو دهيس، عندما جاء جمال مفضي محمد وأحمد صالح ونادوا على مصطفى طالبين المساعدة في صد الهجوم من جهة الجنوب· كان بيت حسن العابد قد وقع في يد المهاجمين وسقط العديد من الرجال· فقال مصطفى للرجال من دون أن يتردد للحظة: يا الله! يللا يا شباب··· عالحارة القبلية!"

"وصل اليهود إلى حدود البلد فنادى عليهم أحدنا: من هناك؟ رد أحدهم قائلاً: هذا مخمد، باللهجة اليهودية، لأنهم لا يستطيعون نطق الحاء· بدأنا عندها بإطلاق الرصاص وأحبطنا الهجوم·"

"أسرنا أحد المهاجمين وكان معه جهاز اتصال لاسلكي، وحاول رجالنا أخذ المعلومات منه· ألتقط نجيب مصلح الجهاز واتصل بالقيادة اليهودية· قال لهم: أنا محارب من لوبية··· يمكنكم إرسال المزيد من رجالكم··· فقد تم القضاء على القوة التي أرسلتموها! فأجابه الصوت من الطرف الآخر: أنتم مجانين أهل لوبية! أنتم مجانين! ثم أردف ذلك بوابل من الكلام البذيء·"

" كان المهاجمون قد قتلوا إبان ذلك حسن العابد وهو يدافع عن منزله واحتلوا داره المكون من طابقين، ثم وضعوا رشاشا أوتوماتيكيا على السطح وبدءوا يمشطون القرية· بقوا هكذا طيلة النهار التالي وانسحبوا حين حل الظلام·"

وروى ناصر العطواني: "استولينا على دبابة من المهاجمين، ساقها أحمد حوران، وحين وصل جيش الإنقاذ ليأخذها تشاجر جنديان عراقيان وأطلق أحدهما الرصاص على الآخر لكنه أخطأه وأصاب بدويا كان يسكن في لوبية، اسمه فيما أظن سالم المحمد·"

مازالت الدبابة محفوظة في المتحف العسكري بدمشق على أنها "هدية من شباب لوبية" ، كما يفيد نص اللافتة المعلقة بجوارها· روى خالد سعيد عن زيارته للمتحف في العام ١٩٦٤ قائلاً: "مازلت أحتفظ بصورة لي أمام المصفّحة وتظهر في الصورة اللافتة التي تقول إنها "هدية من شباب لوبية البواسل إلى الجيش العربي السوري"·"

طلبت من عزرا ليفي أن يحدثني عن تفاصيل الهجوم لأنه كان قائد المجموعة التي احتلت منزل حسن العابد· قال عزرا: "كان معي مجموعة من ستين محارب وكانت مهمتنا

احتلال لوبية. خرجنا من طبرية باتجاه يبنيئيل ومن ثم اتجهنا إلى يمة وكفر كما، وعندما وصلنا إلى السجرة تدرجنا من السيارات."

"كنت قد أصبت في بداية المعركة. كان هناك منزل من طابقين على طرف القرية. في الخطة التي أعطيت لي ذُكرت مشاركة المدفعية والطيران، لكننا حين وصلنا لم يظهر أثر للمدفعية أو للطيران. كانت هناك قوة مساندة مكونة من ثلاثين محارب تمركزت على يمين قوتنا المهاجمة، وكانت مهمتها إطلاق النار على لوبية لتوفير الحماية لنا وقطع الاتصال بين لوبية وباقي القرى."

"عندما وصلنا إلى أطراف القرية قلت لرجالي إني أريد أن أعرف إلى أين نتجه، فدخلت بيت حسن العابد وصعدت إلى السطح، وهناك أصبت. يقولون أن رجال القوة المساندة هم الذين أطلقوا النار علي لأنهم تفاجئوا بوجود شخص على السطح. كان ذلك في الصباح، شعرت بأني غير قادر على الحراك فأمرت رجالي بإخلائي من الموقع وسلمت القيادة لمساعدي."

بدأ اللوبيون بالهجوم المضاد في الصباح. كنت خارج ساحة القتال لكني لم أفقد وعيي، وكنت كلما سمعت إطلاق رصاص أرفع مسدسي لكي لا يهرب الجنود ويتركوني مصابا في ساحة المعركة. تم بعد ذلك نقلي إلى المستشفى لأن الإصابة كانت عميقة. فتحوا معدتي وأخرجوا قرابة المتر من أحشائي. كنت مشغولا بحالي ولم أتابع الأخبار."

وفي سياق آخر، روى عيسى اللوباني عن الكوابيس التي ظلت تأتيه عن سقوط رفاقه وإصابته بجراح خلال القتال. قال: "كنت مع آخر من طلع من المجيدل. كان المسئول عنا شخص من دار الفاهوم اسمه سامي. ما زلت أرى كوابيس عن سقوط رفاقي. أبكي كلما تذكرتهم. يوسف وعوض. رأيتهم يموتون أمامي واحدا تلو الآخر. قلت لزميلي حمدون: أشم رائحة الموت في قطرات المطر. كان بيننا وبين اليهود مائة وخمسون متراً. ذلك الصباح سقط حمدون. أصابته رصاصة في جبينه. قُتل. جاءني كابوس عنه قُتل ثلاثة أسابيع فقط. أنا الآن أكتب قصة عنوانها: عرس الدم. أذكر الشاعر عبد الرحيم محمود. كان معنا في الناصرة عام ١٩٤٨. جاء أحدهم وفزع لأهل السجرة. ذهب حمدون لنجدتهم وسقط. وجب عليّ أن أكون معه ولا أذكر سبب تأخري. كان مع صليبا خميس في القهوة في الناصرة.

كانت القرى المجاورة قد أرسلت نجداتها إلى لوبية لكنها كانت متأخرة. قال أبو عجاج من طرعان: "أرسلنا قوة إلى لوبية. حارب اللوبيون ببسالة. وضع الإسرائيليون نصبا تذكاريا وسموا المفرق (تقع لوبية على مفرق طريقي طبرية–حيفا والعفولة–الناصرة) على اسم القائد العسكري الذي قتل في معركة لوبية واسمه غولاني. صادروا قطعة الأرض من قريتنا لإنشاء النصب التذكاري."[١٣٥]

قال أبو علي: "قدم أبو محمود الصفوري من صفوريا مع خمسة عشر رجلا، وقدمت من عيلبون مجموعة مع الخوري، وقوات أخرى من حطين وطرعان. لكنهم وصلوا متأخرين. كان الصليب الأحمر وجهات أخرى تفاوض اللوبيين من أجل تبادل جثث المقاتلين اليهود، لكن اللوبيين رفضوا الاتفاق معهم معللين ذلك بأنهم في حالة دفاع عن أرضهم."

ما زالت آمنة علي إسماعيل تذكر أسماء جميع من سقطوا في المعارك، ومن بينهم عمها، وتذكر كذلك أسماء جميع الأماكن التي مرت فيها في درب المنفى. قالت: "رمت الطائرات برميلا على بيتنا يحوي مادة مثل الغاز، فقتل ابن عمي يونس راشد زعيتر ومفضي حسن طاه. وقتل احمد الحوراني وابنه صبحي في هجوم على منزل دار العقلة. رجع صبحي إلى الدار وكان ينادي علي وعلى فاطمة. سقطت قنبلة بجانبه وقتلته. لم يكن في القرية أطباء. نقلوا أبيهم أحمد إلى الناصرة لكنه مات في الطريق ودفنوه بجانب ولده."

"كنا نائمين في الحقل. كان الوقت وقت حصاد. سمعت إطلاق رصاص في القرية وفي الصباح وجدنا جثتين لمقاتلين يهود في أرض عوض أحمد وكانت بينهم امرأة. جاء الخوري ليأخذ الجثث فرفض الأهالي إعطاءه إياها. كان اثنا عشر رجلا من الشهابية قد قتلوا دفاعا عن بيوتهم وعيالهم."

يتذكر اللوبيون أيضا حربة العموري المقعدة ابنة التسعين وسالم الشبكوني ابن الثمانين اللذين قتلتهما قوة من الهاغاناة. عندما سألت ناحوم عبّو عن الحادثة أنكر مسئولية القوات اليهودية عنها. قال: "لا أعتقد أن بمقدور جنودنا ارتكاب مثل هذا العمل. بعد احتلال لوبية

---

[135] يذكر جميل عرفات في كتابه أن عدد القتلى بين صفوف القوات اليهودية المهاجمة وصل في لوبية وجوارها إلى سبعة وثمانين، وبين صفوف اللوبيين سبعة وخمسين. أنظر: جميل عرفات، **من ذاكرة الوطن، من قرانا المهجرة**. الناصرة: النهضة، ١٩٩٩.

بقينا ليوم واحد هناك وغادرنا." عندما عاد بعض اللوبيون إلى القرية بعد أيام على انتهاء آخر المعارك وجدوا أجزاء من جثتي حربة وسالم مرمية على باب مغارة فرج المسعود.

قالت أم عصام: "كانوا يقصفون القرية بالقنابل كل يوم. نزلنا إلى الحرش لأن بيتنا كان بارزا على التلة. قال الناس إن المعلم وأولاده قد قتلوا. طلبت من أبو عصام أن يرسلني إلى أهلي. اختبأ ابني هشام في صندوق ملابس الذي نسميه شكبان، فحملته امرأة أخرى عن طريق الخطأ. طار عقلي. ركضت حافية في الحقول أبحث عنه. بقينا في الوادي حتى الصباح."

"كانت أخت زوجي متزوجة من ابن عمي شيخ نايف الطبري. ركضنا معا في الوادي حتى وصلنا طبرية. رأينا امرأة قتلها جنود يهود بالرصاص وهي تضع مولودها. كانت الطائرات تهاجم المدينة. رفضت أمي السماح لي بالعودة إلى لوبية وتوسلت إلي أن اذهب إلى الناصرة، لكني عدت إلى لوبية. الإنكليز أخذوني إلى هناك. كانت لوبية تتعرض للهجوم من جميع الجهات. تلقى الشهابية أكبر الخسائر ودفنوا موتاهم في الكهف. تدخل الخوارنة والصليب الأحمر لاستعادة جثث اليهود لكن اللوبيون رفضوا تلبية مطلبهم."

(انظر الملحق رقم ٦: أسماء لوبيون سقطوا في حرب ١٩٤٨.)

وتحدث اللوبيون أيضا عن حجم الخسائر التي تكبدوها في الحرب. قال فياض عباس: "لقد سقط أكثر من عشرين رجلا في الدفاع عن لوبية. جاء جيش الانقاذ لمساعدتنا لكنهم لم يفعلوا شيئا." وقال أبو بسام: "تكبدنا ثمناً باهظاً. سقط في الدفاع عن القرية ستة عشر رجلا وكانت خسائر العدو أكبر. لا نعرف العدد، لكن بعض الجثث ظلت في الحقول. وجدناها مربوطة بالسلاسل. يبدو أنهم حاولوا سحبها ولم ينجحوا." أما أبو ماجد فقد أكد أن عدد القتلى اليهود الذين رآهم في أرضه وحدها اثنان وخمسون.

وعندما سألت عزرا عن مصداقية الرواية الإسرائيلية التي تقول إن العرب أصدروا أوامر إلى الفلسطينيين بالخروج من بيوتهم، قال: "لو لم تكن هناك مثل تلك الأوامر لخرج العرب الغرباء فقط وظل المحليون. لقد وعدهم قادتهم بأنهم سيرجعون في غضون أسبوع. سمعت أيضاً أنهم تحدثوا فيما بينهم عن تقاسم بيوت اليهود. أخبرني بذلك شخص فلسطيني اسمه معين مازال يعيش في الناصرة."

كشفت وثائق أرشيفية إسرائيلية تم فتحها للجمهور على مدار العقدين المنسرمين وجود مخططات وأوامر بطرد الفلسطينيين من مناطق تقع ضمن حدود الدولة اليهودية المقترحة في قرار التقسيم، خاصة خلال النصف الثاني من الحرب. لكن استير ليفي احتجّت على صحة هذا الادعاء. قالت: "هذه كذبة. غير صحيح. جاء عربي من الأردن وقال إن لديه منشورا كتب فيه يوسف نحماني عن أخذ أراضي من العرب. اتصلت بابنة نحماني عبر الهاتف وسألتها إن كان صحيحا أن والدها كتب مثل هذا، فجزمت بعدم حصول مثل هذا الأمر."

الطريق إلى المنفى:

أصبحت لوبية نقطة مقاومة معزولة بعد سقوط طبرية وصفورية والناصرة وإخلاء جيش الإنقاذ لمراكزه في طرعان، وجرت بين الأهالي نقاشات حادة حول ما يجب القيام به. كان القرار الغالب في النهاية أن ترسل النساء والأطفال إلى القرى الشمالية وأن يظل الرجال للدفاع عن القرية.

كان للهجوم المتكرر على القرية ولانتشار الأخبار والإشاعات عن ارتكاب القوات اليهودية لأفعال شنيعة بحق الأهالي في مناطق مختلفة من فلسطين، أثرا كبيرا في نفوس الأهالي في لوبية كما في باقي القرى والمدن الفلسطينية. قال يوسف: "خاف الناس كثيرا لسماعهم أخبار مجازر قرية نصر الدين وصفد، خاصة بعد مجزرة دير ياسين. قررنا إخلاء النساء والأطفال. كنا عند المقبرة، ورأينا شاحنات العدو وعددها ثلاث عشرة. ذلك يوم لن أنساه ما دمت حيا. تم إخلاؤنا إلى عرابة البطوف. بقينا هناك ليلتين عند صديق لجدي حتى وصل أبي وأخذنا إلى لوبية. وبعد سقوط لوبية انتقلنا للسكن في كفر عنان."

اتجهت غالبية الأهالي شمالا. لكن قسما منهم ظل مصرا على البقاء وكان يحاول إقناع الأهالي الذين خرجوا إلى أطراف القرية إبان الهجوم بالرجوع. قال إبراهيم الشهابي إنه يذكر أن والده المختار يحيى الشهابي، كان يصرخ: "خيانة! خيانة!" وقال إنه سمع أبو إبراهيم الصغير وهو أحد قادة الثوار من أنصار الحاج أمين الحسيني، يقول للناس إن جيش الإنقاذ سوف ينسحب الآن لكنه سوف يعيد الأهالي إلى القرية في آخر المطاف.

روي أن المختار يحيى أخذ يطلق النار باتجاه المغادرين أمرا إياهم بالعودة حالاً، لكن أخوته أوقفوه خوفاً من أن يصاب أحداً بأذى فيتحملون مسؤولية دمه. بات منع النزوح

متأخراً. قال إبراهيم: "كان أبي ضد الخروج من القرية وأطلق النار في الهواء لردع الناس. وحين وصلنا إلى قرية رميش في لبنان طلب الصليب الأحمر من والدي أن يصبح مسئولا عن اللاجئين فرفض. وحين وصلنا حوران مرض وظل في الفراش مدة شهرين متأثرا بالمصيبة التي حلّت بنا."

قال أبو علي عزام: "غادرت إلى المغار مع أبي وأخوتي وأخواتي الثلاث وعمي ذياب. ومن ثم انتقلنا إلى شعب، فسحماتا، فدير القاسي، إلى أن وصلنا بنت جبيل في لبنان. بقينا هناك مدة شهرين حتى جاء الجيش اللبناني وأخرجنا إلى القرعون. وبعد قضاء مدة وجيزة هناك نقلتنا الشرطة اللبنانية إلى عنجر، ومن ثم إلى مخيم بعلبك للاجئين."

قال فياض: "حين سقطت القرى والبلدات حولنا غادرنا إلى بنت جبيل في لبنان، ومن هناك انتقلنا إلى بعلبك."

قالت زهرة إبراهيم خليل، زوجة أبو طلعت: "غادرنا إلى نمرين وكان أهلها قد نزحوا عنها فقضينا الليلة في الحرش المجاور، وفي الصباح أراد زوجي أن يعود إلى لوبية ليجلب والده فذهبت معه. لم يبق أحد في القرية، توجهنا إلى منزلنا وأخذنا عسلا وسكر وطحين وما كان بحوزتنا من نقود، قرابة المائة وخمسين أو مائتين ليرة فلسطينية، وكذلك مسدسا وبندقيتين."

"قضينا ثلاثة أو أربعة أشهر تحت قصف الطائرات. كانت فاطمة تصرخ كلما طل أحد: الطيارات! الطيارات! فنركض إلى الكهوف للاحتماء. خرجت من كهف الزعاترة مع زوجة سلمان عايد تحت الرصاص. حملت اثنين من أولادي، عزت وطلعت، وحمل زوجي رفعت."

" سمعنا بعدها عن إعلان وقف إطلاق النار. ظل الرجال في القرية وغادرت النساء والأولاد إلى القرى المجاورة. اتجهنا أولا إلى نمرين ومن ثم إلى المغار حيث مكثنا ثلاثة أيام، ثم عقدت الهدنة وعدنا إلى لوبية. وحين تجدد القتال بعد شهر خرجنا ولم نعد. كان زوجي يشتري الزيت والسكر والأرز، قلت له أن يترك بعض النقود في المنزل. رفض. كان يستعدّ لحصار طويل."

"ذهبت مرة إلى الحقول لكن زوجي منعني من الخروج ثانية. أعرف أن عينه كانت لبرا." ابتسم أبو طلعت لسماع هذا. "وفي نفس اليوم قتلت عمتي نصرة الخليل برصاص اليهود. حفرت الحاجة زهرة وزكية حفرة ودفنتاها. كنا مشغولين بتفادي ويلات الحرب ولم يكن لدينا الوقت لأمور أخرى. بعد خروجنا من لوبية بقينا ليلة واحدة في المغار عند عبده العايدي. أصله من لوبية. تلك الليلة سمعنا صوت الطائرات وخرجنا من المنزل للنوم في الشارع."

كان عبده العايدي قد اشتهر بثرائه في المنطقة كلها حين كان في المغار، وانتهى فيه الأمر في مخيم اليرموك ليطلب علب السجائر من أصحاب الدكاكين دون أن يكون بحوزته ثمنها.

قال أبو محمود الكيلاني: "حين خرجنا من لوبية كنا مع مجموعة مؤلفة من ثلاثين عائلة. أختار أبي البقاء في القرية أثناء المعارك ورفض الخروج. قال له عمي: لم يبق أحد في القرية! فأجابه أبي: أفضل أن أموت هنا بدل الخروج! إلى أين أذهب؟ ليس عندي مكان آخر، لن أصبح شحاذا في بلد غريب! بقينا أنا وأخواتي الأربع حتى أقنعنا والدي بالخروج ولحقنا بالجميع."

لجأ مصطفى السعيد أولا إلى مخيم بعلبك ومن ثم إلى برج البراجنة بجوار بيروت. كان أبو خالد طفلا حين خرج مع والدته إلى طرعان ومن ثم إلى لبنان. روى أنه حين كان في طرعان جمع الضابط اليهودي رجال القرية وبدأ يسألهم إن رأوا أحداً من لوبية. فأجابه مختار طرعان: لعنة الله حلت باللوابنة، صاروا بتركيا إسه!". وضع الضابط يده المرتجفة على مسدسه وصاح: "أه! لو كان أمامي عشرون منهم!" شاهد خالد هذا الحدث وركض لإخبار والدته فقررا الخروج حالا واللحاق بباقي العائلة لتفادي نقمة القوات اليهودية. وتكررت القصة ذاتها في دير حنا حين استسلمت. قام المختار هناك بإخفاء الحقيقة عن القوات اليهودية من أجل حماية اللوبيين المختبئين في القرية. كان سبب حماية أهل طرعان للاجئين من لوبية علاقات الدم التي كانت تربط بينهم بسبب التزاوج بين بعضهم البعض، وكذلك احتراما لما أبداه اللوبيون من شدة بأس وكرامة في قتالهم ضد اليهود.

قالت صبحية محسن جودي، أم العابد: "ولدت في العام ١٩٤٢، لكني أذكر يوم خروجنا من البلد تماما." تعيش صبحية اليوم في دير حنا، وهي أخت أبو سامح، وقد رافقتني في زياراتي إلى لوبية. لم تفقد أم العابد بسمتها رغم كل ما لاقته من صعاب بعد العام

١٩٤٨، خاصة في إعالة أحد عشر ولداً. أم العابد صاحبة شخصية قوية وثقة بالذات، ولا تخاف من الماضي. حين جاء مصطفى أبو دهيس إلى دير حنا ورفض أن يبيعهم قطعة الأرض التي أعطته إياها السلطات الإسرائيلية مقابل أرضه في لوبية، هاجمته أم العابد. ورغم أنها غادرت القرية وهي في السادسة من عمرها إلا أنها تذكر معالم وأزقة الحارة التي نشأت فيها أفضل من المسنين.

روت أم العابد عما حدث بعد الخروج قائلة: "كنت جائعة فطلبت رغيف خبز من امرأة في نمرين لكنها رفضت أن تعطيني. واصلنا المسير إلى عيلبون وهناك خبزت لنا أمي على قطعة معدن صدئة. بتنا الليلة في كوخ في عيلبون ثم انتقلنا إلى قرية أخرى بقينا فيها ثلاث سنوات. كنا سبعة أنفار. استأجرنا غرفة وعشنا فيها. وحين بدأ أخوتنا يعملون استطعنا بناء غرفة أخرى. أذكر كيف كان السقف يدلف علينا في الشتاء. وكان صوت المطر يطقطق بقوة كأنه قطيع من ماعز يركض على سطح التنك فوقنا."

قالت صبحية: "لقد أخذنا زوجي إلى وادي سلوم [وهو الوادي الذي قطعه كثير من اللاجئين في طريقهم إلى لبنان] وهناك مكثنا ليلة واحدة. كان معنا حصان وحمار، وكان الناس يسيرون نحو الشمال. كان معنا كيلوغرامان من الطحين لا غير، ولا أذكر كيف أعددنا الخبز منها."

"أكملنا الدرب إلى حرفيش والبقيعة وسعسع [الأخيرة دمرت] ونمنا ليلة في كل منها. كانت تلك القرى جميلة، فيها الكثير من بساتين الزيتون والأشجار الخضراء. وانتقلنا بعدها إلى عيترون في جنوب لبنان وبقينا هناك سبعة أيام. قال لنا جيراننا دار فرح مسعود إن أقاربنا وصلوا بنت جبيل المجاورة. الآلاف ناموا في الخلاء تحت أشجار التين والزيتون. كنا محظوظين لعثورنا على شجرة تين ننام تحتها. كنا نشتري تنكة ماء بقرشين، وبعض حبات البطاطا وقطعة لحم بشلنغ. بقينا هناك عشرة أو اثني عشر يوماً حتى وزعونا بين مخيمات اللاجئين."

Comment [MF43]: *

Comment [MF44]: I am confus about this; did Subhiyya return fron refugee camps in Lebanon to Deir Hanna? Why is not this mentioned explicitly? It is important to mentio it is the case.

حاول أبو ماجد العودة إلى القرية لكنه أبعد عنها إلى نمرين. "دخلت الدبابات إلى لوبية تحت غطاء من القصف الشديد واضطررنا أن نخرج من نمرين بعد أن اقتربت منا النيران. في اليوم الثالث دخل اليهود فاتجهت إلى المغار وقالوا لي أن ألتحق باللوابنة هناك. أعطيت الغنمة لنبوه وطلبت منه تسليمها إلى سعود. أكلنا قليلا من العدس وخرجنا

بعد أن قالوا لنا أن جيش الانقاذ بدأ يجمع البنادق من الرجال· أخذوا بندقية الشيخ سليمان العابد التي اشتراها بمائة ليرة·"

"في الرامة اجتمعنا بأبو طلعت الذي نجح في الاستيلاء على أربعة بنادق شيكي من القوات اليهودية· بعنا واحدة باثنتي عشرة ليرة· سلكنا مسالك جانبية عبر حقول الزيتون لنتفادى الجيش العربي· وصلنا قرية تدعى سعسع ومن هناك رافقنا آخرون في طريقهم إلى بارون على الحدود اللبنانية· مكثنا هناك قرابة الشهر ومن ثم انتقلنا إلى بنت جبيل ثم أخذنا الجيش اللاجئين ووزعنا بين مناطق مختلفة منها القرعة وعنجر وبعلبك· البعض قرروا متابعة الطريق إلى دمشق·"

Comment [MF45]: تحقق

"كان بحوزتي مائة ليرة أخذتها تعويضا من البوليس بعد إنهاء الخدمة· وبعد تردد شديد بعت البندقية بخمسة وثلاثين ليرة· التقيت علي العاشور واتجهنا إلى النبطية، قضينا هناك ليلة في مسجد مهجور بدون أبواب أو مفارش· أشار رفيقي أن نذهب لمشاهدة فيلم ورفضت لأن الأمر لم يبدو لي مناسبا في تلك الأوضاع·"

"في اليوم التالي اتجهنا إلى القنيطرة فأوقفتنا الشرطة السورية في طريقنا إلى دمشق وفتشونا بطريقة غريبة· أجبرونا أن نرفع أيدينا إلى فوق ونمط ألسنتنا ليروا إن كانت ثمة وشم ما تحت الإبط أو اللسان· كانوا يعتقدون أن وجود وشم في مثل هذه الأمكنة من الجسد يعني أننا عملاء سريين للقوات اليهودية، وأن الوشم هو بمثابة بطاقة تعريف·"

" في سوق الحميدية بدمشق التقيت صدفة بفواز العطروش من طبرية فأخبرني عن مكان وجود عائلتي· وعندما التحقت بهم أخبروني بأن أخي ورفيق له موجودين في سجن الرميل ببيروت لأن الشرطة عثرت على مسدس وبعض الفشك بحوزتهما· حُكم عليهما بالسجن مدة شهرين· التقيا بعدها بصدقي الطبري وساعدهما على الانتقال إلى دمشق· كنت عازما على الذهاب إلى الأردن لكن تلك الصدفة في سوق الحميدية غيرت مجرى حياتي، فبقيت في دمشق حتى اليوم· هذه هي قصة خروجي من فلسطين·"

مازالت قصص الخروج تحكى بالتفاصيل خاصة من قبل النساء· قالت أمينة إسماعيل: "بقينا في وادي سلامة خمسة أيام، ذهبنا بعدها إلى قرية المغار، ومن هناك إلى البقيعة في الجرمق وبقينا فيها ستة أيام· ومن هناك تابعنا المسير إلى الرميش التي كانت نقطة حدود لبنانية· طلبنا أبريق شاي دفّعونا خمسة قروش ثمنه·"

أما قصة خروج نايف حسن فهي فريدة، إذ خرج مع القوات البريطانية إلى مصر ومن ثم اتجه إلى الأردن ولم يعرف مكان لجوء عائلته إلا فيما بعد. قال: "في ١٥ أيار غادرت القوات البريطانية فلسطين. كنت مع ثلاثة أشخاص عرب، إثنان من لوبية وواحد من طرعان اسمه عابد عزيز العدوي، رافقنا القوات البريطانية إلى بور سعيد في مصر عن طريق الخليل وبئر السبع والعريش. مكثنا هناك مدة شهر قبل العودة إلى الأردن. عدنا عن طريق العقبة لأن الإسرائيليين كانوا قد احتلوا بئر السبع وقسم من القدس. وعندما وصلنا أعطوا كل واحد منا ٤٠٠ ليرة وفصلونا. اشتغلنا بعد ذلك مع الجيش العربي الأردني كسائقين لأنهم كانوا بحاجة إلى هذه المهنة."

"لم أعرف شيئا عن عائلتي حين كنت في بور سعيد. الحيفاويون الذين وصلوا إلى هناك لم يعرفوا شيئا عن لوبية. ثم سمعت من أشخاص معينين أن عائلتي لجأت إلى بعلبك في لبنان. اتجهت إلى هناك مع لوباني آخر اسمه أبو تيسير ودخلنا بشكل غير قانوني. رأينا قوافل اللاجئين في جميع الاتجاهات. كان المسنون الذين لا يقدرون على المسير يسقطون على الأرض ويموتون في الطريق. وصلنا إلى بعلبك ورأينا اللاجئين في حالة مزرية، من دون طعام. بقيت هناك لمدة ثلاثة أيام ثم انتقلت إلى دمشق بالقطار وتابعت إلى الأردن سيرا على الأقدام. كانت تلك الرحلة غير قانونية. لكن فيما بعد صرنا نتنقل بصفة قانونية فقط."

محاولات الرجوع

كان بعض الرجال من لوبية يعودون إلى القرية لأخذ ما بوسعهم حمله. أما أبو ماجد فقد عاد مع رجلين من لوبية لغرض آخر هو الإيحاء للقوات اليهودية بأن المقاومة ما زالت مستمرة. كان أبو ماجد يأمل بأن تعقد هدنة عما قريب وبأن يساهم عمله هذا في استعادة القرية. قال: "كانت القرية فارغة لثلاثة أيام عندما عدت من نمرين ولذا أطلقت بعض الرصاصات ليرى اليهود أننا ما زلنا هناك. خرجنا يوم الجمعة وكنا ننتظر عقد الهدنة يوم الاثنين."

"رأتني شيخة وهي عجوز من لوبية، فتكلمت معها كأني يهودي. سألتها: أين القرية؟ قالت: القرية راحت يا ابني. إذا بدك تقتلني اقتلني هسّع هون. طلبت ماء، أعطيناها لتشرب، ووضعناها في بيت جدي. أخذت غنمة وأعطيتها لسعود العايد الذي ظل في

الجولان مع أغنامه· وجدت خديجة زهية العميا، جدة حمد، ورافقتها إلى خارج القرية· رفضت مرافقة حربة لأنها لا تستطيع المشي· ماتت زهية في دمشق·"

"غادرت وحدي لأني تطوعت آنذاك للحراسة· تمركزنا على بعد كيلومتر واحد شرقي البلد، لكن عندما عدت وجدت القرية خالية من السكان، فاتجهت إلى نمرين· كانت المدفعية تقصف لوبية باستمرار، فذهبت إلى هناك مع حسين المحمود وأبو زكي، ولحق بنا مختار الحجاجوة· أردنا أخذ بعض الأغراض من بيوتنا· أخذت غطاء تخت وبطانية جديدة وغنمة كانت مربوطة في باب إحدى الدور· وأخذ رفيقي جهاز راديو عثر عليه· قابلنا امرأة مقعدة لم تتعرف علينا· ظنت أننا يهود· طلبت منا أن نقتلها· قالت: قوسوني· لم نستطع مساعدتها· تركناها مع ابنتها لأننا لم نقدر على حملها·"

"ذهبنا إلى نمرين لكني طلبت من الرفاق أن نعود إلى لوبية لنطلق بعض الطلقات ليظن اليهود أن لوبية مازالت تقاوم· كان ذلك يوم السبت وكانت الإشاعات تقول إن هدنة ستعقد يوم الاثنين· حاولت الذهاب إلى القرية يوم الأحد وحدي لكني التقيت بحسين اسماعيل الحمزة في الطريق وقال لي إن اليهود في بيارة الخان بجانب البلد من جهة طبرية· قال لي: ارجع مطرح ما جيت، فأسرعنا معا إلى نمرين·"

في العام ١٩٥٠ قطع أبو خالد الحدود من لبنان مع رفيقين له من أجل زيارة لوبية· ناموا هناك ليلة واحدة وفتشوا بين أنقاض بيوتهم عن أغراض ذات قيمة كانوا قد خبئوها هناك قبل الخروج، لكنهم لم يعثروا على شيء· عثروا على كلب ظل حيا بين الأنقاض· "كنا نقول له بوبي· اعتقدنا أنه جُنّ· كان هناك وحده مع المقعدين· ركض من شمال القرية إلى جنوبها وتوقف بجانب صاحبه محمد علي إسماعيل الذي كان معي· ظل برفقتنا إلى أن غادرنا القرية في الصباح· مشى معنا حتى حدود نمرين ثم عاد أدراجه· حتى الكلب لم يرد ترك المكان·"

وحين قضى أبو خالد ليلته في لوبية سمع تغريد طير يدعى طائر القطا، يتنقّل بحرية من مكان إلى آخر· ألهمه صوت الطائر بأن ينشد أبياتا من قصيدة قال إنها لامرؤ القيس، لكنها تنسب إلى ابن الملوح:

يا سرب القطا هل من يعيرني جناحه

لعلي إلى من هويت أطير

والتي لم تعرني جناحها

فعيشٌ بطير والجناح كسيرٌ [136]

قال نايف حسن:

"الناس يجب أن لا تغادر بيوتها· كان قرار الخروج من أرضنا قرارا غير حكيم· دخل التتار في الماضي بغداد وحرقوها، لكنهم انكسروا في بيسان· نحن لم يجتمع مخاتيرنا ولو مرة ليقرروا عما يجب فعله· كانت الإذاعات العربية تساعد العدو بشكل غير مباشر عبر نشر أخبار مجزرة دير ياسين وكيف أن النساء أجبرن على السير عاريات في الشوارع..."

"ما الذي نلناه من بعلبك؟ ألم تكن لوبية تطعمنا ذهباً؟!"

[136] القصيدة مطلعها: " بكيت على سرب القطا ، حين مرّ بي = فقلت ومثلي بالبكاء جدير" والبيتين الثاني والثالث يختلفان قليلا عما ورد في إلقاء أبو خالد:
"أسرب القطا هل من معير جناحه = لعلي إلى من قد هويت أطير"
"وأي قطاة لم تعرني جناحها = فعاشت بضر والجناح كسير" [المترجم].

Second & third generations: Lubyans from Denmark & Sweden visiting their grandparents' land in Lubya.

Lubyan families in the debris of their house 1995.

'98 11 25

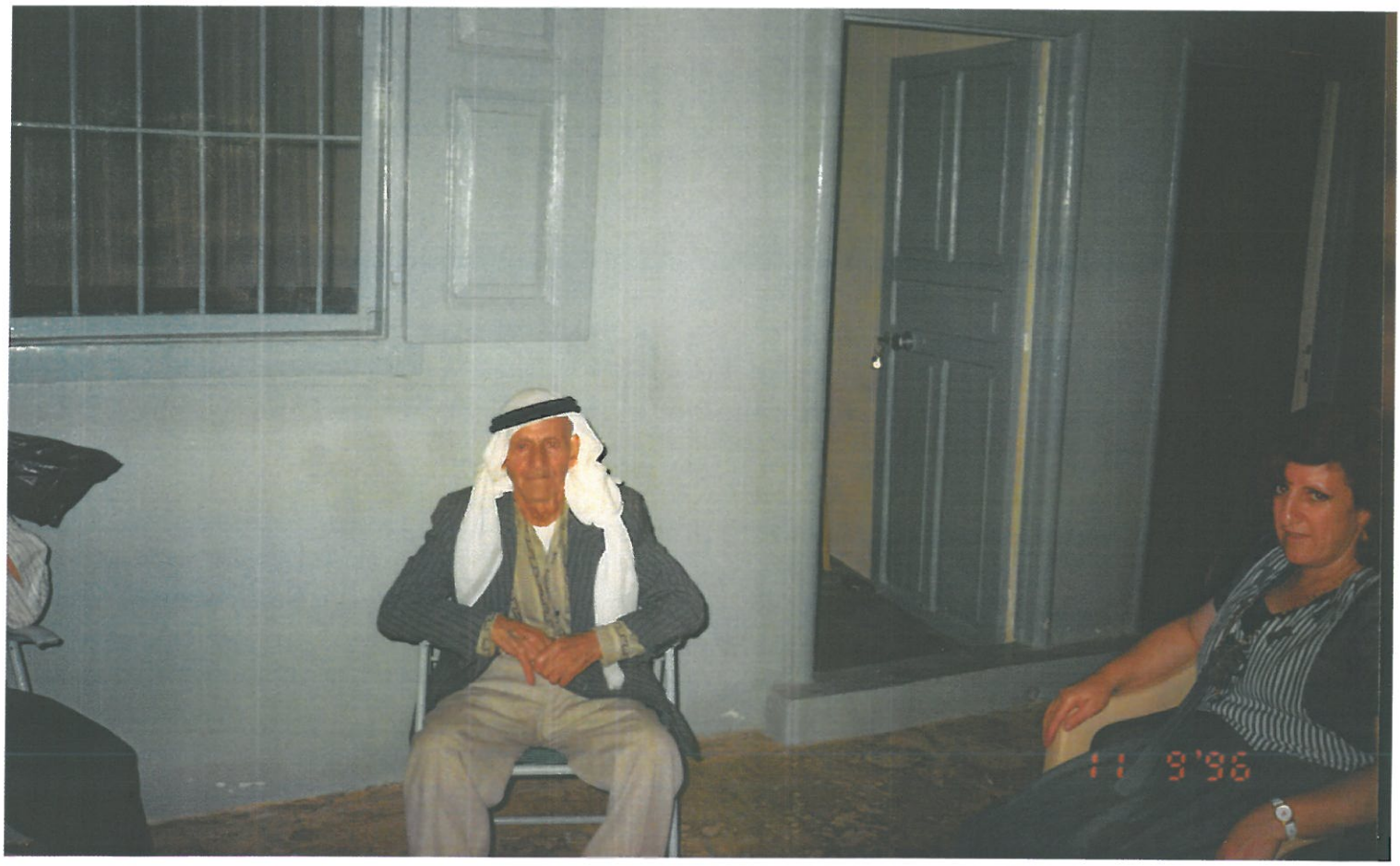
11 9'96

11 9'96